التطويبات

تأليف

ف . ب . ماير

تعريب

القمص مرقس داود

يناير ١٩٧٧

يطلب من
لجنة خلاص النفوس للنشر
١٢ شارع قطه بشبرا مصر

باسم الآب والابن والروح القدس
الله واحد . آمين

مطبعة الخلاص

مقدمة

يخبرنا متى الإنجيلى أن ربنا ألقى على منحدر جبل كفر ناحوم عظته التى جاءت فى مقدمتها هذه التطويبات الرائعة الجمال.

لقد اعتدنا أن نرى من الجبال مناظر بعيدة المدى ، تمتد إلى الأفق الذهبى ، وجداول المياه التى تتدفق بأصوات موسيقية لتروى السهول أسفل الجبال .

وبهذه المناسبة ، كم هو جميل أن نشبه نغم هذه التطويبات بالجبل الذى كان الرب جالساً عليه إذ كانت هذه الكلمات الجميلة تتدفق من فمه .

إنه لأمر عسير أن نجد شبيهاً لكلماته من ناحية سموها ، وشمولها لكل شىء فى الوجود ، وإخصاب الحياة البشرية .

ومن المستحيل أن نسبر غور هذه التطويبات . فاختبارات المؤمنين الناضجة تعجز عن أن تدرك عمق معانيها .

أما القصد من هذا الكتاب فهو إظهار بعض الطرق التى تقودنا إلى قلب جبال الله هذه .

ف . ب ماير

(١)

الأبواب الثمانية

إلى مدينة السعادة

بعد أن قضى الرب يسوع نحو سنة فى الخدمة باليهودية ـ ولم يدوِّن لنا الإنجيليون إلا القليل عن هـذه الفترة ـ نزل ليبدأ خدمته العامة فى الجليل . وإذ نبذه الكتبة والفريسيون بسبب معجزة بيت صيدا اتجه إلى جماهير الشعب . وعندما هـددوه بالموت اتخذ بعض الخطوات لاستقرار ملكوته بأن جمع حوله بعضاً من أقرب أحبائه ، واختار منهم اثنى عشر ليكونوا معه ، وخرج ليكرز ببشارة إنجيل السلام .

وقد قضى فى الصلاة الليلة كلها التى كان مزمعاً فى صباحها أن يقوم بعملية الاختيار . فى تلك الساعات الرهيبة كان على علم تام بمقاصد أبيه ، وتسلم من يدى الآب أولئك الذين أعطوا له ، وطلب أن يكونوا مستحقين لدعوتهم العليا كحجارة الأساس لأورشليم الجديدة . وهكذا استعد ـ تحت أنوار نجوم السماء

الهادئة ـ لما كان ينتظره فى الغـــد .

ولما أشرق نور الفجر « دعا الذين أرادهم » (مر ٣ : ١٣). ومن جماعة التلاميذ اختار رسله . ومن بين الذين انجذبوا إليه بشخصيته الجذابة ، وبإرشاد المعمدان ، اختار الاثنى عشر الذين دُعوا ليكونوا أوائل من يتحملون الأخطار والتجارب ، والذين كانوا سوف يصبحون أقرب المقربين إليه ، وأول من يعطف عليهم .

وأخيراً نزل على سفح الجبل ، ومعه أولئك ، إلى مكان منبسط ، حيث كانت تنتظره الجموع الكثيرة ، الذين اجتمعوا من كل النواحى القريبة ، والذين كانوا يطلبون معجزات الشفاء لمرضاهم . « وجميع المرضى شفاهم » . وبعد ذلك استقر الجمـوع ليسمعوا هذا الحديث الرائع ، الذى به افتتح ملكوته ، وبدأ خدمته فى الجليل .

ويا لها من فرصة عظيمة . أسفلهم كانت البحيرة ، وفوقهم جو الصباح الجميل ، وحولهم الجبال تغطيها السحب البيضاء . وكان الهواء تعطره رائحة الزهور والحشائش . وكان المرضى الذين

شفوا حديثاً ، وحاملوهم الذين سبق أن حملوهم للمخلص ، كان الأصدقاء والناقدون ، الرسل والتلاميذ ، يتطلعون إلى ذلك الفم الذى « كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة » .

هنا كان جبل سيناء العهد الجديد ،

لكن ما أعظم الفرق بين الجبلين !!

كان موسى خادماً ، أما هنا فيوجد الابن ..

موسى تكلم وسط قصف الرعد ، وفوق الأرض المرتجفة ، وهنا كان صباح صحو جميل ، لا يُسمع سوى أصوات الطبيعة ، أو جلبة المدن القائمة تحت الجبل .

موسى حمل عشر كلمات مرعبة ، منقوشة على لوحين من الجرانيت . أما هنا فكانت كلمات رقيقة حنونة ، مكتوبة على ألواح قلب لحمية .

موسى كان مرعباً ، يتكلم وسط قصف الزوابع والعواصف . أما النعمة والحق فصارا بيسوع المسيح ، الذى تصل كلماته إلى أضعف إنسان ، وأكثر الناس اتضاعاً .

موسى تحدث عن اللعنة ، أما المسيح ففتح فمه وعلمهم قائلاً :

« طوبى لكم أيها المساكين بالروح ... » - أى « سعداء هم المساكين بالروح » . هنيئاً لهم .

كان لائقاً أن يبدأ المسيح خدمته العلنية بالتطويبات . وبهذه الكيفية أيضاً ختمها : « وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأصعد إلى السماء » (لو ٢٤ : ٥١) . كانت كلماته الأخيرة مطابقة لكلماته الأولى ، وكانت كلها تشع بنور الأبدية . وبعد أن اختفى عن أنظارنا ، ولا زلنا نحبه وإن كنا لا نراه ، نطق بتطويبات كثيرة أخرى وهو جالس على العرش ، دُوِّنت لنا فى سفر الرؤيا . إن الذين يخافون من المسيح كسيد قاس عبوس إنما يجهلونه كل الجهل . فهو كله رقة وحنان . وإذا ما استخدم السكين فذلك لكى يقتطع منا كل ما يعطل سعادتنا ، وما نقوى أن نتحرر منه لو عرفنا ما هو لسلامنا ، كما يعرف هو .

كل تصرفاته معنا بركة وسعادة ..

وكل طرقه معنا نور وضياء .

والنطق بالسعادة خليق باللاهوت . قبل مجىء المسيح كان الناس راضين ، أو مستريحين ، لكنهم لم يكونوا سعداء حقاً .

كانت هذه كلمة جديدة لهم ، بل كانت كلمة قديمة فى صيغة جديدة. لم يكونوا بعد يعرفون شيئاً عن هـذا السر العميق ، سر التمتع بالصلة مع الله ونحن على هذه الأرض . لم يكن أحد قط قد صعد إلى البحيرة الـكائنة وسط الجبال التى تنعكس على سطحها الصافى أنوار الأبدية واللانهائية . لم يكن أحد يعلم بوجودها ، أو يعرف الطريق إليها ، سوى ذاك الذى نزل من السماء ، والذى كان فى السماء أثناء خدمته على الأرض .

قيل عن الله إنه هو « الله المبارك » (١ تى ١ : ١١) . إن طبيعته المجيدة مباركة منذ الأزل ، كما إن قبة السماء مملوءة بالأثير. وقد نزل يسوع من السماء ليعلن لنا هذه الحقيقة ، ويجعلنا ندرك امتيازنا . ونظراً لأننا خلقنا على صورة الله ومثاله ففى قدرة كل واحد منا أن يتمثل ببركته . ولقد أعطى لنا هـذا الامتياز أن نشترك فى بركته . عندما نلتصق بالرب ونصير روحاً واحـداً (١ كو ٦ : ١٧) فإننا نشترك فى بركته . لا ننال نفس القدر من البركة ، بل نوعها وصفتها . نقدر أن نعرف ما هى بركة الله المبارك .

وهذه السعادة والبركة لنا هنا الآن . ليست هى بعيدة عنا فى العالم السعيد ، حيث تكمل سعادتنا ، وحيث يبطل سر الخطية والموت ، بل فى أى وضع نكون نحن فيه فى هذه الساعة . لا تتوقف متاعبنا الحقيقية على ظروفنا ، بل على أنفسنا . ولقد نال البركة الـكاملة ألوف ممن يشتركون معنا فى نفس ضيقاتنا التى تـكلفنا الآلام المريرة . ولو أتيح لنا أن نحيا حياة الرسول بولس ، ونحن لا نزال فى حالة قلوبنا الحالية ، لما أمكننا أن نختبر نشوة الفرح التى تمتع بها . ولو أتيح له هـو أن يحيا حياتنا الحالية ، بمتاعبها وضيقاتها ، لأمـكنه أن يتمتع بنشوة الفرح ، بحيث لا يعرف إن كان فى الجسد أم خارج الجسد (٢ كو ١٢ : ٣) .

جاء يسوع ليبين بأن السعادة لا تتـوقف على ظروفنا الخارجية . لقد صرّح بكل وضوح أننا يجب أن نتوقع متاعب كثيرة من أجله ومن أجل بره . لـكنه وسط كل هذه أصرّ على أن يعلمنا بأننا يمكن أن نـكون سعداء حقاً إن أتممنا شروطـاً معينة . لقد أكد فى تلك الـكلمات الرائعة أن السعادة ممكنة فى أحلك الظروف إن احتفظنا ببساطة الحياة ، وبشجاعتنا وطهارتنا. طوبى للمساكين بالروح ، طوبى للمطرودين من أجل البر ، لأن

لهم ملكوت السماوات (مت ٥ : ١٠) .

وهذه السعادة هى للجميع . هذه المياه تجرى فى الوادى . يمكنها أن تصل إلى جذور أحقر الزهور، كما يمكن للطفل أن يملأ كأسه منها . كنت سابقاً أعتقد بأن الله وضع أسمى هباته على رفٍ عالٍ لكى نرفع أعناقنا إليها . أما الآن فقد اكتشفت بأن أفضل هباته موضوعة على أدنى مستوى بحيث يصل إليها أصغر الأطفال . لكل واحد أعطيت القدرة على أن يغترف من هذه السعادة ، كما أعطيت إليه القدرة على أن يغترف من الجمال والمحبة والفرح . خُصصت مياه بئر بيت لحم لداود فقط ، أما مياه بئر سعادة الله العميقة ، التى شراها لنا مخلصنا القدير بثمن غال جداً ، فهى مقدمة لأفقر فقير يأتى ، وجرته فى يده ، ليأخذ منها مجاناً .

الله لا يحابى بالوجوه . وهو لا يُخرج أى امرىء ، بل يرحب بالجميع . أنت مدعو لهذه الوليمة مهما كانت حالتك وضيعة . تستطيع أن تأكل خبز الملائكة . تستطيع أن تكون سعيداً مهما كنت هزيلاً . تستطيع أن تكون معه إلى الأبد ، فيصبح كل ما له لك . نور الشمس ، والزهور البرية ، مقدمة لأولاد القرى كما لأبناء الأمراء . والسعادة التى تبهج القديسين

داخل الحجاب يمكن أن تسكب ضياءها ورائحتها العطرية فى قلبك أنت أيضاً .

هنالك ثمانية أبواب للحياة السعيدة . إنها مفتوحة نهاراً وليلاً مثل أبواب أورشليم الجديدة ، وواحد منها ، على الأقل ، يواجه كل واحد منا . وليس علينا إلا أن ندخل ذلك الباب المفتوح ، وهكذا ندخل إلى الحياة السعيدة . من المستحيل أن نكون مسيحيين دون أن نكون على قرب من تلك الأبواب المفتوحة ، لأننا إن كنا لا نقدر أن ندّعى الطهارة ، أو الوداعة ، أو الرحمة ، فإننا على الأقل نقدر أن نحسب أنفسنا ضمن الجياع والعطاش إلى البر ، ونشتهى أن نشبع ، أو ضمن من يشعرون بفقرهم الشديد ، ويحسبون أنهم ليس لهم نصيب ولا قرعة فى هذا الأمر ، أو ضمن من يحزنون لكنهم لا يحزنون بالقدر الكافى ، ويقرعون صدورهم لأنهم لا يقدرون أن يذرفوا الدموع الطاهرة الخالية من محبة الذات .

أنت لست نقى القلب ، إذن فذلك الباب المؤدى إلى السعادة مغلق فى وجهك . لكنك حزين جداً لأنك لست نقى القلب . فادخل الملكوت من باب الحزن والندم والتوبة .

أنت لست وديعاً ، وروحك المتكبرة تغلى فى داخلك . لكنك تتعطش جداً إلى البر . إذن فادخل من ذلك الباب لتنعم بالسعادة .

العدد ٨ يتحدث عن القيامة ، والعدد ٧ يتحدث عن إتمام العمل ، كما تمت الخليقة فى سبعة أيام . أما العدد ٨ فإنه يبدأ أسبوعاً جديداً . فالمسيح قام من الأموات فى اليوم الثامن . والسعادة ليست ميسورة إلا لمن قاموا من الأموات ، لأنهم هم وحدهم الذين ينالون ثمار الروح .

لا يكفى أن نتطلع إلى يسوع فوق الصليب كنائب عنا ، بل يجب أن نقبله كرأس لنا ، وندرك أننا باتحادنا به قد انتقلنا إلى السماويات ، حيث يقيم هو ويحكم مع الآب والروح القدس . يجب أن نكون على اتصال بعصر الروح القدس . يجب أن نمتلىء بالروح . يجب أن نقبل موت المسيح على أساس أنه يعزلنا عن حياة العالم ، وعن حياة الجسد ، وينقلنا إلى قوة ونعمة الروح القدس . وإذا ما تم هذا على وجه أكمل ، وتصوّر المسيح فى داخلنا بعمل الروح القدس ، فإننا نحس بتلك الميول التى هى مفاتيح وأبواب السعادة .

وللسعادة نواحٍ كثيرة . إنها تتضمن الوعد بالنصرة والرئاسة : « لأن لهم الملكوت ». وتهب الراحة والعزاء لمتعب القلب والمرتبك : « لأنهم يتعزون » . وتهب الأرض كميراث بحيث تصير كل الأشياء ملكاً للنفس المتحدة بالله . إنها تُشبع وتُغنى . إنها تجمّل طريق الحياة برحمة الإنسان ورحمة الله . وتهب نعمة البصيرة وتدمغ من يحصل عليها بأنه ابن العلى . وتسكب دهن البهجة على الرأس ، وتطرح رداء الرضا على الروح المثقلة بالهموم . هذه هى خواص السعادة .

كل هذه يمكن أن تكون ملكاً لك . وكما أن كل شرط من هذه الشروط يجر فى أذياله كل الشروط الباقية ، هكذا تنتقل كل البركات إلى ملكية النفس التى تطيع وتؤمن . المسكنة بالروح تؤدى إلى الحزن ، وهذا يؤدى إلى الوداعة ، وهذه تؤدى إلى الجوع الذى لا يشبع ، والجوع يؤدى إلى الرحمة ، وهذه تؤدى إلى نقاء القلب ، وهذا يؤدى إلى صنع السلام . وهكذا نبدأ وننتهى بملكوت السماوات . أى إن اختباراتنا تصعد على سلم لولبى وتنتهى حيث بدأت ، لكن باختبارات أكمل وأقوى . وبين هذه الاختبارات وتلك عن الملكوت تكمن التعزية ،

والامتلاك ، والشبع ، والرحمة ، والرؤيا ، والسلام ، والفرح . وكل من هذه تؤدى للاخرى ، كما تؤدى كل ساعة للتى تليها عند ارتفاع الشمس إلى فوق .

والمسيح يعكس أعز آراء الناس . أخيراً وقفت بجانب بحيرة . وإذ تلاطمت مياهها الهادئة مع الشاطىء رأيت أوراق الشجر منعكسة على وجهها . وقد انعكس عليها وضع كل شيء . فالأشياء العالية على الأرض بدت عميقة فى المياه ، والمنخفضة بدت عالية فى المياه . وأطراف الأشجار العالية بدت عميقة . والزهور بدت قريبة جداً على سطح المياه . ورأيت أن هذا يرمز لما يحدث حولنا . فما يعتبره البشر ثميناً جداً يعتبر فى نظر الأبدية تافهاً . والذهب الذى نعتز به يوضع على أرض أورشليم الجديدة . أما التواضع الذى يغسل أقدام التلاميذ ، والوداعة التى تحتمل الإهانة بهدوء ، فإنهما طابع العالم السماوى . والملك يركب على أتان ، وعلى جحش ابن أتان . المسيح لا يضع أهمية للكبرياء ، والظروف ، والسلطات ، تلك التى يضع لها البشر أهمية كبرى . وهو يضع أهمية كبرى للوداعة ، والتواضع ، واللطف ، تلك التى يحتقرها البشر . هو يرفع الفقر من المزبلة ، ويجلسه مع أمراء

سكان السماء ، ويرفع مردخاى فوق هامان .

والمسيح حقق الصفات والسعادة التى تحدث عنها . لقد كان مسكيناً بالروح ، كما كان فى بساطة الأطفال . كان ملكاً وديعاً ومتواضع القلب . كان رحيماً لدرجة أن العشارين والخطاة انجذبوا نحوه . كان نقى القلب لدرجة أنه كان مضطهداً دواماً . يا حبيبنا ، لقد كنت بصفة دائمة المثل الأعلى للكمال المطلق .

كانت سعادته أيضاً كاملة . كانت التجديفات والإساءات توجه إليه . لكنه كان ثابتاً كالجبل أمامها .

أصغ إليه ، تعلم منه ، تمثل به ، إقبله فى قلبك ، أظهره فى حياتك ، وبذلك تتصور فيك هذه الصفات ، وتشترك أنت فى هذه السعادة .

صلاة

أيها المسيح المبارك . إن من تباركهم وتسعدهم يصيرون مباركين وسعداء حقاً . أتوسل إليك أن ترشدنى بروحك الصالح إلى التمتع بهذه البركات التى أعددتها لمحبيك ، والتى تفوق إدراك البشر . آمين .

(٢)

مفتاح الملكوت

« طوبى للمساكين بالروح لأن لهم
ملكوت السماوات » (مت ٥ : ٣)

لو كانت سالومة وابناها قد تذكروا هذا التطويب لما كانت قد طلبت قط من المسيح أن يجلس ابناها ، واحد عن يمينه ، والآخر عن يساره فى ملكوته ، ولأدركوا أن المسيح لم يكن ممكناً أن يمد بالعروش إلا لمن توفر فى قلوبهم الاستعداد الكافى . فالعرش لا يُعطى إلا لمن أُعدّ لهم . يجب أن يكونوا قد أُعدوا مسبقاً . واستعداد القلب يتضمن مسكنة الروح التى يبدأ منها سلّم التطويبات ، ويصعد إلى فوق إلى السعادة .

تُبنى العروش الأرضية عادة ومعها درجات تصعد إليها . لكن الأمر البارز فى عروش ملكوت السماوات أن الدرجات تنزل إليها . ينبغى أن ننزل إن أردنا أن نملك ، وأن ننحنى إن أردنا أن نقوم ونرتفع ، ونمنطق أنفسنا لنغسل أقدام التلاميذ ، كما يفعل العبد عادة ، وذلك لكى نشارك سيدنا فى عظمته .

ما هى مسكنة الروح هذه ؟

(١) يجب أن نميز بين مسكنة الروح ودناءة الروح :

لم يوجد مسكين بالروح مثل يسوع ، ومع ذلك فإنه فى كل مواقفه مع الفريسيين والكتبة والسنهدريم كان شامخ الرأس ، قوى الروح ، رهبته تفوق رهبة الملوك ، الأمر الذى أذهلهم ، فاضطر أعداؤه إلى تقديم كل الولاء له مرغمين . لما قال بيلاطس عن المسيح « هوذا الإنسان » (يو ١٩ : ٥) بعد أن كان قد جلد بقسوة ، كان المسيح لا يزال محتفظاً بشجاعته . « وقال الفريسيون بعضهم لبعض : انظروا ، إنكم لا تنفعون شيئاً . هوذا العالم كله قد ذهب وراءه » . وهذه الروح لازمت دواماً أتباع المسيح . فقد كانوا دواماً يحسبون أنفسهم فقراء ومساكين وضعفاء ووسخ كل شىء ، لكنهم لم يجبنوا قط ، ولم تنقصهم شجاعة الروح ، ولم تعوزهم تلك الصفات التى مكنتهم من أن يقفوا ثابتين غير مزعزعين وسط أحقاد أعدائهم ، وكانوا كالصخر الذى يلاطم الأمواج .

(٢) ويجب أن نميز بين مسكنة الروح وبين الظروف :

لقد هرب الكثيرون مما هو حسن وجميل ومستقيم فى الطبيعة والفنون وتحصيل العلوم العقلية واقتناء الثروة . لقد قالوا لأنفسهم: انهرب من الثروة ، وكنوز الحياة ، لكى نكون مساكين بالروح . لكن يقيناً إن الإنسان قد يُجرِّد نفسه من كل ممتلكاته ، وقد يضمر قلبه لعدم توفر شىء يحبه ، وقد يتبلد عقله بسبب عدم المعرفة ، وقد يتوقف تفكيره بسبب عدم تغذيته ، وقد تقصر أيام حياته بسبب عدم توفر حاجيات الجسد ، ومع كل ذلك يبقى بعيداً جداً عن مسكنة الروح .

اشملنى بنظرة يا رب ،
وأنت ممجد فى السماء مع كل القديسين ،
والناس على الأرض يعيشون فى رغد ورفاهية ..
أما أنا فإننى أسجد ألف مرة للمسيح ،
وأستيقظ مبكراً وملابسى مبللة من ندى السماء ..
وفى إعياء تام أرفع الصليب .

هذا افتخار إنسان لا يميز بين فقر الظروف الاختيارى وبين مسكنة الروح . فى كل أيام حياة كهذه تطل برأسها روح الكبرياء ،

ولا تقدم دم الحمل ، بل تفتخر بمجهوداتها الشخصية . قد تنفق كل ثروتك لإطعام الفقراء ، وتسلم جسدك حتى يحترق ، ومع ذلك تبقى بعيداً عن مسكنة الروح الحقيقية . ومن الناحية الأخرى ، قد تكون غنياً بثروة العالم ، وقلبك عامر بالمحبة البشرية ، وعقلك يذخر بالمعرفة والعلوم العالمية ، ومع ذلك تبقى فقيراً فى الروح .

(٣) ويجب أن نميز أيضاً بين مسكنة الروح وبين الشعور بحقارة النفس .

هنالك أشخاص كثيرون يعترفون بأنهم لا شىء . ويصرون على اتخاذ آخر المقاعد من الخلف ، ويعلنون بأنهم أحقر الناس . ومع ذلك تحس بأنهم متكبرون ، وأنهم يشتهون الجلوس فى المقاعد الأولى فى الولائم كما ذكر الرب فى مثل العرس (لو١٤: ٧ - ١١) . الواقع إن الكبرياء التى تتظاهر بالتواضع كريهة جداً أكثر من التى لا تتظاهر بأى شىء . فى بعض الأحيان نحن نُظهر التواضع لأننا نفخر بأن نشتهر بالتواضع . نحن نجلس بجوار الباب لكى تكون الفرصة مهيأة بأن يدعونا صاحب البيت للجلوس فى المقدمة . نحن نتظاهر بالابتسام وقت شدة الغضب ،

لأننا نفوق من كل قلوبنا بأن نُحسب ضمن عداد القديسين . من لنا بالتواضع الذى لا يحب أن يعلن عن نفسه ، بالوجه الذى يشع منه النور وهو لا يعلم ، ببساطة الأطفال التى لا تعجب بنفسها .

لكى نكون مساكين (فقراء) بالروح حقاً ينبغى أن نتطلع إلى ربنا المبارك ، الذى « من أجلنا افتقر وهو غنى لكى نستغنى نحن بفقره » (٢ كو ٨ : ٩) . فى أمجد أعماله كان يتحاشى أن ينسب لنفسه أى مجد . لم يكف عن استخدام سلطانه العجيب وقدرته اللانهائية ، ولغته التى لا تُبارى . وذلك كله لم يكن على سبيل الافتخار ، بل من أجل تخفيف الآلام البشرية ، وتقديم أسمى التعاليم للعالم . لم يكف مطلقاً عن التحدث عن إرسالية الآب له ، الأمر الذى يُبرزه لنا إنجيل يوحنا أكثر من أى إنجيل آخر . ولم يكف كذلك عن التحدث عن أن مسرته هى إتمام مشيئته هو ، وإتمام العمل الذى سلمه إياه والتحدث بالكلام الذى أعطاه إياه .

إذن فمسكنة الروح تظهر فى ناحيتين . إنها لا تفتخر بما تمتلكه ، وتشعر بعدم القدرة التى تتطلبها مستلزمات الخدمة .

١ ـ مسكنة الروح لا تفتخر بما تمتلكه :

فى بداية الحياة المسيحية نحن نسعى باجتهاد للحصول على بعض الفضائل والنعم . لقد قرأنا عنها ، أو رأيناها مجسمة فى الآخرين ، إلى أن شدتنا بجاذبيتها . ثم نجاهد للحصول عليها . وفى بعض الأحيان نهنىء أنفسنا لأننا حصلنا على جزء منها . ويقيناً إن النفس ، إذ تفارق حاضرها بماضيها ، تقول : إننى الآن أكثر طهارة مما كنت ، وأكثر تواضعاً ، وأكثر رقة .

والنفس تتزين بحليها وجواهرها كما تخرج الشابة من خزانتها حليها التى أعطاها لها محبوها والمعجبون بها . وهذه النفس المعجبة بنفسها تتحطم إذ تسقط سقطة مروعة ، أو يتكرر سقوطها إلى أن نرى بأننا لا يحق لنا أن نملك الصلاح ، كما لا يحق للغرفة أن تملك النور الذى يملأها . فتلك الأمور ليست ملكاً لنا ، إنما نحن قد تسلمناها من المسيح ، ونحن نتمتع بها على قدر ما نثبت فيه وهو يثبت فينا . فإننى لست صالحاً ، لكن يسوع الثابت فىّ هو مصدر الصلاح . وأنا لست متواضعاً ، لكن يسوع الساكن فىّ يستأثر كل فكر متكبر إلى طاعته (٢ كو ١٠ : ٥) . إننى لست قوياً ،

لكننى قد قبلت ذاك الذى « صار لنا حكمة وبراً وقداسة وفداءً » (١ كو ١ : ٣٠) . وإذ نعتمد اعتماداً كلياً على المخلص ليمدنا بصفة مستديمة من طبيعته بالروح القدس فإننا نُظهر الشعور بحاجتنا إليه ، وهذا هو العلامة الأكيدة على أن قلبنا هو القلب المنكسر والمنسحق والمتواضع الذى لا يحتقره الله (مز ٥١ : ١٧) .

ب ـ ومسكنة الروح تشعر بعدم القدرة التى تتطلبها مستلزمات الخدمة :

يأتى إلينا الناس مثلهفين . فالواحد يقول : إننى مضطرب عقلياً ، أرجو أن ترشدنى إلى العلة . وآخر يقول : لقد أوثقنى الشيطان بكليتى ، أرجو أن تحل وثقى . وآخر يقول : إننى فى حاجة إلى المزيد من الروح القدس ، أرجو أن تعلمنى . وآخر يقول : ابنتى معذبة جداً من الشيطان ، أرجو أن تخلصها منه . وإجابة على كل هؤلاء يقول المسكين بالروح : ليس لدينا ما يكفى لكل هذه المطالب . ليس لدينا فضة أو ذهب ، لكن لدينا شىء واحد نستطيع أن نفعله ، هو أن نصلى ، ونرفع حاجتك إلى الله ، نحن نرتضى بأن نكون الآنية التى يستخدمها الله لقضاء حاجتك .

ألم تكن هذه هى وجهة نظر الرسول بولس حين قال : « ولكن لنا هذا الكنز (كنز الله) فى إناء خزفى . لكزانى ونحن دائماً فرحون . كفقراء ونحن نغنى كثيرين . كأن لا شىء لنا ونحن نملك كل شىء » ؟ (٢ كو ٤ : ٧ ، ٦ : ١٠) .

كيف نكون مسا كين بالروح ؟

(١) لا تظن قط بأن أية فضيلة غريزية فى طبيعتك ، بل اعتبر أن كل موهبة وكل نعمة عطية من القدير . إكتف بأن تكون غصناً . إن كنت غصناً تحمل الثمار ناضجة ووفيرة فانسب ذلك لأصل الشجرة . دع المسيح يحيا فيك . لو كان النور الذى يسطع على البحر وشاطئه يُنسب للأرض التى يُكسبها هذا النور جمالاً لكانت نعمة المسيح تُنسب لك أو لى كأنها ملك لنا . « أى شىء لك لم تأخذه ؟ » (١ كو ٤ : ٧) .

(٢) إياك أن تقيس نفسك بمن هم أدنى منك ، بل بالله الذى فى الأعالى . نحن نميل جداً إلى أن نقارن ثيابنا البيضاء بثياب الآخرين القذرة ، والأحرى بنا أن نقارنها بالثياب التى « لا يقدر قصار على الأرض أن يبيض مثلها » (مر ٩ : ٣) .

(٣) تطلع إلى كل الصلاح الذى فى إخوتك. هنالك أكثر جداً مما نفتكر حتى فى من لا يعترفون بأنهم مقدينون. « لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه، بل كل واحد إلى ما لآخرين أيضاً » (فى ٢ : ٤). ليحسب كل واحد غيره أفضل من نفسه (فى ٢ : ٣). قد تكون هنالك بعض الأسباب التى أدت إلى عدم تمكن الآخرين من الوصول إلى أسمى درجات الكمال، وفى نفس الوقت إن كان الآخرون قد حصلوا على ما نتمتع به نحن من امتيازات لصاروا أفضل منا جداً.

(٤) اعتبر نفسك وكيلاً لله من أجل الآخرين، بحيث إذا طُلبت منك أية طلبة للاغاثة، أو للتعليم، أو للنجاة، فإنك تعترف أمام الله بضعفك الكامل، وتطلب منه بتواضع بأن يقدم على يديك الطعام الكافى الذى يفوق إليه المسكين الذى جاء إلى بيتك.

وما هو ملكوت السماوات؟

عندما كان المسيح يتحدث كان سر الملكوت غامضاً، ولا زال إلى الآن. لم يكن قد أُعلن، والواقع أنه لن يُعلن إلا عندما

يُتوَّج ملكنا (المتوارى الآن) ملكاً على العالم. « ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً، بل هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس » (رو ١٤ : ١٧).

إنه لشرف عظيم أن يكون بنو الملكوت بنى الملك. هم أبناء، ورثة الله الآب، وارثون مع الملك نفسه.

ويا له من نفوذ عظيم لأن ملكوت الله يعنى سلاماً على الأرض، ومسرة للناس. كان العرش فى نظر ربنا يعنى المقدرة على بركة الناس، وهذا هو السبب الوحيد الذى يدعو الناس ليرغبوا فى الجلوس عن يمين العرش أو يساره. إن طلب الملكوت بقصد التظاهر، أو الأرباح المادية، أو الكبرياء، طمع باطل وتافه ودنىء ومحتقر. أما الرغبة فيه بقصد التأثير على الناس تأثيراً حسناً، ووضع نواميس للحياة الصالحة المستقيمة، وتعضيد الفقراء، وإنصاف المظلومين، فهذا قصد نبيل. هذا هو السبب الذى يدعو المساكين بالروح أن يشتهوا أمجاد الملكوت.

أخيراً: إن الملكوت يعنى الثروة الغنية. اعتقدنا أن نفكر بأن الملك العظيم يجب أن يقتنى ثروة كثروة سليمان، الذى قيل

عنه إنه « جعل الفضة مثل الحجارة ، وجعل الأرز مثل الجميز ، وأنه تعاظم على كل ملوك الأرض فى الغنى » (١مل ١٠: ٢٣ و٢٧). إن الملكوت المثالى يوصف بالوفرة والسعة ومصادر الثروة التى ليست لها حدود . وهكذا الحال فى الملكوت الروحى .

قال توما الكمبيسى فى كتابه « الاقتداء بالمسيح » : « إن من يخدمونى بكل قلوبهم ينالون نعمة فوق نعمة . ومتى توفرت النعمة السماوية والمحبة الحقيقية بطل الحسد ، وضيق القلب ، ومحبة الذات . لأن المحبة الإلهية تتغلب على كل شىء ، وتوسع كل طاقات النفس » .

هذا أمر عجيب جداً ، لا يألفه الناس . فالنفس التى تطلب دواماً أن تعظم ذاتها ، وتوسع مخازنها ، تفقد مجد الحياة الحقيقى ، والكنوز التى تغنى الناس . أما من ينكر ذاته حقاً فإنه يطرح نفسه أمام الله كإناء مهشم فارغ ، ويتعلم أن يردد ما قالته حنة :

قسى الجبابرة انحطمت . .
والضعفاء تمنطقوا بالبأس ،
الشباعى آجروا أنفسهم بالخبز . .

والجياع كفُّوا .
الرب يقيم المسكين من التراب ،
يرفع الفقير من المزبلة . .
للجلوس مع الشرفاء ،
ويملكهم كرسى المجد !
(١ صم ٢ : ٤ - ٨)

صلاة

أنت يا ربى افتقرت . .
لكى تغنينا بفقرك ،
أتوسل إليك أن تغنينى بمسكنة الروح . .
لكى أكون وارثاً معك فى ملكوتك .

(٣)

سر العزاء

« طـوبى للحزانى لأنهم
يتعزون » (مت ٥ : ٤)

لقد جاء ابن الله من أمجاد السماء وسعادتها ليهب الإنسان مفتاح السعادة الكاملة ، ليس فقط فى الحياة العتيدة ، بل فى هذه الحياة أيضاً ، وهكذا تكمل السعادة فى قلوب البشر . السعادة أسمى من البهجة ، واللذة ، ونشوة السرور بما نملك . ولعله لا توجد كلمات تكفى لوصفها ، لكن القلب يعرف عندما تدخله .

لقد بيَّن الرب يسوع أن حالات الحياة البشرية ، التى يتخوف منها البشر بطبيعتهم ، هى العناصر التى تجعل السعادة ممكنة . لقد جاز الاختبارات المختلفة التى يجوزها الجنس البشرى ، أى دموعنا ، والفقر ، والجوع ، والتجارب ، والاضطهادات ، وبيَّن أن هذه هى العناصر التى تنشأ منها السعادة ، كما أن رطوبة الهواء لازمة لإظهار أمجاد شروق الشمس وغروبها .

هذه القطوبية واسعة المدى جداً ، لدرجة أنه قد بُذلت

المساعى الكثيرة لتحديد مداها وتضييق دائرة سعادتها . يقيناً إن المقصودين بالذات هنا هم الذين يحزنون حزناً مقدساً بلا ندامة (٢ كو ٧ : ١٠) . وإنه لأمر عجيب كيف أصرَّ الناس على الاعتراض على وفرة عطايا الله واتساعها . وهم يؤكدون بعضهم لبعض بأن الله لا يمكن أن يعنى كل ما يقول ، وأنه يُعتبر خطأ جسيماً أن نثق ثقة مطلقة فى تأكيداته . لكن ، رغم كل ذلك ، لاحظ قوة هذه الكلمات الهادئة : « طـوبى للحزانى ، لأنهم يتعزون » . يقيناً إنها تعنى أن كل حزن يحمل معه مفتاحاً للسعادة والبركة ، وأنه لا يوجد حزن لا يقـدم له إنجيل المسيح الشفاء والإغاثة . فى هذه التربة تنمو كل الأعشاب التى تصلح لشفاء القلوب الكسيرة . هو يعطى « دهن فرح عوضاً عن النوح ، ورداء تسبيح عوضاً عن الروح اليائسة » (إش ٦١ : ٣) .

يجب أن لا يُغمض أى حزين عينيه عن هـذه الكلمات ، كأنها تعنى كل الناس سواه ، وكأنها لا تعنى من كان حزنهم عادياً وبسيطاً . هذه البركة ـ مثل كل بركات الإنجيل ـ مقدمة لكل من يريـد . يحق لنا أن نصدقها تصديقاً مطلقاً . مهما كانت

شخصيتك ، ومهما كان حزنك شديداً ، فإنك سوف تتعزى . إن حصاد هذه السعادة كامن فى أعماق هذه البذور المظلمة . وثقل المجد الأبدى فى متناول يدك ، وهو الذى يجعل ضيقتك الحالية تبدو خفيفة عندما تنظر إليها من المستقبل البعيد . وحتى إن كنت للآن لم تعترف بأنك مسيحى ، فإن حزنك قد يقودك إلى ينبوع العزاء الأبدى . فقط لا تيأس ، ولا تنطو على نفسك فى حزنك ، ولا تجعله يفت فى عضدك ، بل « اتضع تحت يد الله القوية » (١ بط ٥ : ٦) .

خمسة ينابيع للدموع

(١) تلك التى يفتحها فقد الأعزاء :

فى بعض الأحيان تكون الضربة فجائية وغير متوقعة . لم تكن لدينا فكرة بأن الوداع العادى سوف يكون هو الوداع الأخير ، أو أن ذلك الوجه سوف لا يعود قط بابتسامته . فى بعض الأحيان يذبل ذلك الشخص العزيز ، تدريجياً وبكيفية منظورة حتمية ، كما تذبل أوراق الخريف ، أو كما يتضاءل وجه القمر . طالما كان الأعزاء معنا فلا يوجد أثر للدموع . لكن حالما

يغيبون عنا تنفجر ينابيع الغمر . عندئذ تبكى راحيل على أولادها ، ولا تريد أن تتعزى ، لأنهم ليسوا بموجودين . وتبكى مرثا ومريم بكاءً مراً عند قبر أخيهما .

هنالك عزاء لأمثال هؤلاء . ليس بالتحدث عن الموت أو الانتقال ، ولا بكثرة الكلام عن نصيب البشر جميعهم ، ولا بأى مظهر من مظاهر الحزن ، بل بفتح القلب لله لكى يسكب فيه سلامه المبارك . إن النفس الحزينة تحتاج أولاً وقبل كل شىء ، وقبل كل شخص ، إلى الله . وإن كان فقد الأعزاء يدفعنا إليه ، إن كانت النفس التى تُحرم من معونتها الطبيعية وتعزياتها ، توجه تفكيرها وأشواقها إلى النور الأبدى ، إن كانت تُدفع لتحس بتفاهة وبطل كل ما يمكن أن تقدمه الأرض ، وتطلب الكنوز المخبأة فى يد الله ، والمقدمة لكل من يطلبونها ، إن كانت النفس فى انكسار قلبها تطلب لمسة الطبيب الصالح الرقيقة لجروحها وقروحها ، عندئذ يأتى العزاء ، ويأتى المعزى ، ويقول يسوع : « أنا أفرح لأجلكم إنى لم أكن هناك لتؤمنوا » (يو ١١ : ١٥) .

الوجه مرآة القلب . وكم من المرات رأينا هذا الوعد قد تم « طوبى للحزانى لأنهم يتعزون » عندما نقطلع إلى وجه البعض نراه هادئاً ، يفكر بحنو فى حياة الآخرين ، رغم كل ما تكبده من مرارة الحرمان من النور والبهجة . وأنت لا تجد هذه السعادة متوفرة فى الحياة الممتلئة ، بل فى الحياة التى أفرغت من نفسها ، ليس فى الطريق المنير بل المظلم ، ليس فى البيت المكتظ بالولائم ، بل فى البيت الذى تبدو فيه علامات الحزن والكآبة .

(٢) تلك التى تفتحها المشاكل والهموم والفشل :

نحن ندخل الحياة بآمال عريضة ، لكن سرعان ما تهاجمنا المشاكل المتعددة . وهل هذا يعنى أن راحة البال انتهت إلى الأبد ؟ لقد خابت الآمال ، وحلت الخسائر ، وتلبد الجو بالغيوم الكثيفة . جاء الفقر ، واعتلت الصحة ، وفترت محبة المحبين ، وتحطم القلب بسبب المظالم القاسية ، وتضاءلت الموارد المالية ، وجاءت المخاوف من نواح عدة . إن المتاعب التى تهاجمنا فى هذه الحياة لا حصر لها . والأحزان تترى علينا من كل حدب وصوب . لكن المسيح يقول إن السعادة يمكن توفرها حتى

وسط هذه الظروف .

والرب قادر أن يعوِّضنا عن الأحزان والهموم والمشاكل . فالكثيرون اعترفوا بأنه لم يكن ممكناً لهم أن يعرفوا محبة الله لو لم تكن محبة البشر قد خيبت آمالهم ، ولم يكن ممكناً لهم أن يجدوا الثروة الحقيقية لو لم يخسروا الثروة العالمية التى وضعوا عليها قلوبهم ، ولم يكن ممكناً لهم أن يدركوا معنى الأبديات لو لم يخسروا الأرضيات الفانية الباطلة . فى لحظات انكسار القلب ، وفشل كل آمالنا يقترب منا المعزى ليبين لنا ما هو مستقيم أمامه . عندئذ يقترب منا الله ، فنسمعه يقول : « فدى نفسى من العبور إلى الحفرة ، فترى حياتى النور » (أى ٣٣ : ٢٨) . إن الحياة بدون الآلام والتجارب لا معنى لها ، ولا طعم لها .

(٣) تلك التى تفتحها ضعفات الجسد :

حتى فى الحالات التى لا نشكو فيها من مسببات الحزن السابق ذكرها فإنه قد يكون هنالك شعور داخلى بالكآبة والحزن وانقباض النفس . فى كل أنواع المسرات تتدخل روح الكآبة ، فتقض مضاجعنا . فى أجمل الأمكنة ، وفى أسعد الأوقات تتسرب

إلينا عوامل ميئسة محزنة . فى أبهج الأوقات نحس بروح الضجر وعدم الراحة . وفى الساعات المشرقة نستمع إلى نغمة داخلية تقول: « باطل الأباطيل ، الكل باطل » . وهذه الشكوى القديمة لا زالت جديدة .

لكن فى هذه الحالة قد نجد السعادة . فقلب الإنسان لابد أن يجد مرارة فى كل كأس من كؤوس الحياة ، وإلا شربه لدرجة السكر أو الموت . يجب أن يكون هنالك مرض فى كل ورقة من أوراق الشجر ، ولوثة على كل زهرة ، وإلا نسي الإنسان أنها قد خُلقت لتذبل .

إننى أشكرك يا ربى بقلب مرتاح ..
لأن كل أفراحنا تتخللها الأتراح ،
لأن أبهج المسرات ..
تتخللها الأشواك ،
ولهذا تكون سعادة الأرض ..
مرشدة لنا لا القيود .

إن الآبار المشققة تدفعنا إلى ينابيع المياه الحية . وباطل

الأباطيل يدفعنا إلى ختام الأمر كله . والشجرة الآيلة للسقوط تُلزم الطير بأن يبنى عشه فى « محاجىء الصخر » .

(٤) تلك التى يفقحها الحزن من أجل الخطية :

هذا هو عمل روح الله . قد تجعلنا المتاعب متمردين ، وسريعى الانفعال وقساة . لكن عندما يأتينا روح الله إذ نكون منسحقين تحت المتاعب ، ويتحدث إلينا عن محبة الله ، وعن الأمثلة العليا التى تركناها ، وعن القاذورات التى لطخنا بها ثيابنا ، وعن الإساءات التى سببناها لمن اؤتمنا عليهم لإغاثتهم ، وتعزيتهم ، وعن الدموع التى سببناها للآخرين ، وعن العثرات التى وضعناها فى طريق الضعفاء ، وعن الوزنات التى دفناها ، وعن الشوك الذى زرعناه ، نحزن حزناً مقدساً ونذرف الدموع ، ولا يكون هنالك مبرر للندم عن هذه الدموع . ليت روح الله يأخذ قلب الإنسان تحت الصليب ، ويرفعه إلى قلب المسيح الحنون . ليتنا نتطلع إلى ذاك الذى طعناه . ليتنا ندرك شناعة الخطية فى نظر محبة الله وأحزانه . وعندئذ تُذرف الدموع بلا توقف من عيون الأبطال فى الحروب . وتكون كل دمعة نبتة

للسعادة . مبارك هو هذا الحزن .

خير لنا أن نحزن من أجل الخطية ، لا من أجل عواقبها . وليس أمراً عسيراً أن نحزن من أجل العواقب . عندما نحصد قصاص الأخطاء المرير يكون من اليسير أن نتأسف ونندم ، ونقول : « آه ، ليتنى ما ارتكبت هذا ، ليتنى كنت قد فكرت طويلاً واتخذت حذرى . ليتنى أجد فرصة أخرى » . كثيراً ما جرت هذه الكلمات على ألسنتنا . لكن ليس هذا هو الحزن من أجل الخطية . فحزن الخطية أعمق وأكثر نبلاً . ودموعه أكثر طهراً . وفيه لا يوجد أثر لمحبة الذات ، أو الخوف من القصاص . والخاطىء الشاعر بخطيته يبكى دون أن يتصنع الحزن ، وذلك عندما يرى مقدار شناعة خطيته فى نظر الله ، وما فعلته للمحبة الإلهية والمحبة البشرية ، ولمن يعودون إلى ذاكرته ، أو لمن تأثروا تأثيراً سيئاً بأخطائه التى لن يُمحى أثرها . والله يحرص على أن يجمع هذه الدموع ، « ويجعلها فى زقه ، ويدونها فى سفره » (مز ٥٦ : ٨) .

(٥) تلك التى تفقحها هموم العالم :

لا يستطيع أى إنسان حىّ الضمير أن يشهد هذه الهموم دون

أن يتأثر . كل نسمة هواء محملة بالصرخات والأنات والصلوات لطلب النجدة . « كل الخليقة تئن وتتمخض معاً » (رو ٨ : ٢٢) . الأطفال يئنون تحت يد الأمهات والآباء السكارى . والنساء يُظلمن ، ونساء معاملتهن ، ويهجرهن أزواجهن . والشابات تتحطم قلوبهن ويُهجرن ممن كن يتوقعن أنهم مخلصون لهن . والخدم فى البيوت ، والملونون ، الكبار والصغار ، يتحرقون تحت المظالم المروِّعة . والمرضى يُعذبون تحت وطأة أمراضهم . آه يا إلهى ، إن قلبى ينفطر حزناً وأنا أدوِّن هذه الكلمات . ومتى تضع حداً لهذه المناظر الأليمة ؟ متى تقوم وتنطق بكلمة الراحة للمتعبين .

لكنها بركة عظيمة أن نحزن هكذا . لأن من يشتركون مع المسيح فى آلامه من أجل البشر سوف يشتركون معه فى نصرته عندما يرى من تعب نفسه ويشبع (إش ٥٣ : ١١) ، عندما « ينقض أعمال إبليس » (١ يو ٣ : ٨) ، « متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة » (١ كو ١٥ : ٢٤) . وحتى الآن ، توجد سعادة فى تخفيف الآلام والأحزان المحيطة بنا ، لأننا إذ

نغيث الآخرين نكف عن التأوه على متاعبنا ، وإذ نمسح دموع الآخرين ننسى أن نبكى .

كل هذا يُقرِّبنا من « رجل الأوجاع » (إش ٥٣ : ٣) ، ويعطينا فكرة عن أحزانه . إن أردت أن تعرف يسوع فعليك أن تذهب إليه حيث كان يايرس يبكى من أجل ابنته ، وحيث كانت أرملة نايين تتبع ابنها إلى القبر ، وإلى بيت حسدا ذات الأروقة الخمسة ، وإلى ظلال جثسيمانى ، وعندئذ يتملكنا حزن كالذى تحدثنا عنه الآن .

ما أروع وأنبل كلمات المسيح . جميع الناس يجلسون صامتين عندما يشتد الحزن ، كما فعل أصحاب أيوب عندما جاءوا ليعزوه ، أو يحاولون بكلمات طيبة أن يحوِّلوا القلب الحزين عن مصادر حزنه . أما المسيح فإنه يقول : « لا تخافوا من الحزن ، ولا تتجنبوه . بل واجهوه ، واحنوا رؤوسكم تحت يد الله القوية ، تطلعوا إلى وجهه ، وثقوا بأن كل شىء قد رُتب بمقاصد رحيمة جداً ، إسألوه أن يطلعكم على سره ، ثقوا فيه ثقة كاملة . وبعد الجهاد طول الليل تلقون رئيس الحياة بابتسامته عند الفجر كما

حدث مع يعقوب أبى الآباء » .

لا يوجد أمام المسيح حزن لا يقدر أن يجد له عزاء ، ولا يوجد حزين لا يقدر أن يعزيه ، ولا توجد نكبة لا يُستخرج منها دهن الفرح فلنصدق هذا ، ولنأت إليه ، حتى وإن كانت الدموع تجرى من عيوننا ، والجلدات قد مزقت ظهورنا ، واثقين أن لديه بلسماً يحوِّل ظل الموت إلى نهار مشرق .

هذه هى تعزيات المسيح

(١) إحساس بمحبة الله ، وبأنها فينا ، وتحيط بنا ، وفوقنا ، وتحتنا ، فى كل حين ، وفى كل مكان ، فى كل الظروف الحلوة والمرة ، المفرحة والمحزنة ، فى كل الاختبارات المتصلة بالعالم ، أو بقلوبنا .

(٢) سر التواضع ، الذى يخضع لظروف الحياة ، لأنه تعلم الثقة بأن محبة الله الرحيمة التى لن تخطىء قط هى التى سمحت بها .

(٣) التحقق من غير المنظور الأبدى ، الذى يحيط بحياتنا الفانية ، كما يتخلل الأثير عالمنا ، وينزل إلى أوديته ، ويشمل

جباله ، ويتخلل طرقاته .

(٤) وجود المعزى معنا . قال الرب يسوع : « أنا أرسل لكم المعزى » . ويا للتغيير العجيب الذى أحدثه . فقبل مجيئه كان التلاميذ غارقين فى حزن بلا رجاء . كانوا مشلولين بسبب شدة الألم . جلسوا فى العلية منسحقين ويائسين ، إلى أن جاءت الساعة المفرحة . إلى أن أعلن لهم المعزى أن المسيح قد قام ، وأنه حىّ ، وممجد . وعندئذ تحوّل حزنهم إلى فرح ، وتم تأكيد المخلص لهم بأنه سيراهم ثانية ، فتفرح قلوبهم ، ولا ينزع أحد فرحهم منهم (يو ١٦ : ٢٢) . الناس يرون النجوم من ظلمة الجب . ومن ظلمة الحزن نرى وجه المسيح إذ يعلنه لنا الروح القدس .

(٥) رجاء السماء . هناك نلتقى ثانية بمن انتقلوا من الأحباء والقديسين ، وهناك تمسح يد الله الدموع من عيون الجميع . هناك يغطى الفرح الجزيل على مقاعب الأرض وآلامها . هنالك لا يبقى أثر للخطية ، والفشل ، والتقصير فى أداء مهام الحياة . هنالك يُفسر سر الإثم ، وتنتهى عواقب الخطية . والموت والهاوية يُطرحان فى بحيرة النار ، بينما :

يضىء الحق والسلام والمحبة إلى الأبد ..
حول عرش الله الصمد ،
وعندما تصعد روحنا المسترشدة بالسماء ..
تبطل كل هذه الخطايا ويُقضى عليها بالفناء ،
وإذ نتزين بالنجوم نجلس إلى الأبد ..
منتصرين على الموت وعلى الزمن .

صلاة

يا من صعدت إلى السماء لكى ترسل لنا الروح القدس ليعزينا فى كل أحزاننا وضيقاتنا ، أرسله لى أنا أيضاً لكى أعزى الآخرين بتعزياته الحلوة . آمين .

(٤)

ميراث الأرض

« طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض » (مت ٥ : ٥)

هذه هى ثالث فرقة عسكرية فى جيش الرب العظيم وثالث باب للحياة المباركة السعيدة ، وثالث خطوة نحو العرش . لكن ما هو نوع هذه الوداعة ؟ وكيف يختلف الودعاء عن المساكين بالروح؟

واضح أنه يوجد فرق . فقد قال الرب إنه « وديع ومتواضع القلب » (مت ١١ : ٢٩) . بينما شدد الرسول على قديسى أفسس للتحلى بالتواضع والوداعة وطول الأناة تمثلا بالمسيح (أف ٤ : ٢) . لكن ما هو هذا الفرق ؟ إن للفتاح لهذا نجده فى فقرة من الرسالة الأخيرة الخالدة التى كتبها الرسول بولس فى أواخر أيام حياته ، التى أعطى فيها لتلميذه الشاب تيموثاوس تعليمات أخيرة ، سيما نحو من قاوموه . قال الرسول : « وعبد الرب لا يجب أن يخاصم ، بل يكون مترفقاً بالجميع ، صالحاً للتعليم ، صبوراً على المشقات ، مؤدباً بالوداعة المقاومين » (٢ تى ٢ : ٢٤ و ٢٥) . هنا يتبين

أن الوداعة لازمة بصفة خاصة عندما يُطلب منا أن نواجه من يختلفون معنا فى الإيمان ، ويهاجمون شهادتنا الشخصية .

إذن ، ألا يحق لنا أن نقول إن مسكنة الروح والتواضع هما شىء واحد ، ويدلان على اتجاه الروح نحو الله ، عندما يحس المرء بالبون الشاسع بين عظمة الله وبين حقارته ، بين طهارة الله وبين نجاسته ؟ أما الوداعة فهى اتجاه الروح نحو البشر ، سيما نحو أخطاء العالم ، نحو الشرور التى يرتكبها الناس ضد بعضهم البعض ، سيما ضد قديسى الله .

التواضع صفة تلازم دواماً القداسة الحقيقية . فالأربعة وعشرون شيخاً خروا قدام العرش ، وطرحوا أكاليلهم عند قدمى الله فى تذلل كامل (رؤ ٤ : ١٠) . أما فى السماء فمع أن الوداعة تلمع بضيائها الكامل إلا أنها لا تمارس ، لأن المقاومين لا يكون لهم وجود هناك ، لأن « العدو والمنتقم » يكون قد أسكت إلى الأبد (مز ٤٤ : ١٦) .

الوداعة تتضمن فى قوة الأخلاق . لكن الناس لا يفكرون هكذا دواماً . فكثيراً ما قيل بأن الوداعة تنم عن الضعف ، وإن

الودعاء يقابلون بالاحتقار الشديد . لا يوجد لقب يمجه أهل العالم مثل لقب « وديع » . والشاب يفضل أن يُقذف عليه حجر ثقيل عن أن يقال عنه إنه وديع . عندما يقال عن إنسان إنه وديع فإن أول ما يخطر ببالنا أنه رخو وهزيل وتافه .

وعندما ندقق البحث فى حياة بعض رجال الله يتضح أن حكم العالم السطحى هذا كاذب من أساسه ، كما يحدث فى كثير من الأحيان . فموسى ، الذى كان أكثر الناس وداعة وحلماً (عد ١٢ : ٣) كان قائداً قوياً ، قاد شعبه بمقدرة فائقة لدى خروجهم من مصر . وبولس الرسول الوديع كان قوياً فى احتمال الاضطهادات ، كما كان سابقاً قوياً فى توجيهها للكنيسة ، ووقف كالصخر أمام مقاومات بعض المؤمنين من اليهود ، وكان منطقه القوى هو الذى وضع أساس الكنيسة القوى بحكمة سوّت بين اليهود والأمم .

ومن ذا الذى يجرؤ على القول إن الرب يسوع المسيح لم يكن قوياً إذا ما نُظر إلى طبيعته من الناحية البشرية فقط ؟ مع أنه كان حملاً وديعاً ، لكنه كان أيضاً الأسد الخارج من سبط يهوذا . والوداعة التى قابل بها إهانات أعدائه لم تحجب القوة

التى ألزمت بيلاطس باحترامه رغم أنفه . يا لها من قوة إذ قاوم الإغراءات الناعمة والتجربة التى عرضت عليه أن يشفق على نفسه ولا يقدم نفسه للصليب ! . يا لها من قوة تلك التى تجلت فى إتمام عملية الفداء رغم علمه بما كانت تتطلبه من آلام مريرة لا تحتمل .

إن عدم فهم الناس لقوة هذه الوداعة ناشىء أكثره من المظهر الرقيق الذى يتخذه الشخص الوديع ، وضبط النفس الذى يستخدمه ، خطوات قدمه البسيطة ، ونغمات صوته الرقيقة . إنهم لا يدركون كيف يُخفى الوديع قوته ، وكيف إن الضغط على نفسه لعدم إظهار قوته أشد من إطلاق العنان لها . إن المرء شديد الانفعال ، الحاد الطبع ، عندما يتكلم برقة ، ويتصرف بهدوء أمام الإهانات العنيفة ، والإثارات الشديدة ، يكون أقوى جداً ممن يثور ويتهيج . واليد الناعمة التى تكبح الجواد الجامح لاشك فى أنها قوية جداً .

آه ، أيها الإخوة الثائرون ، يا من تثورون لأقل سبب ، إنكم لا تدركون مقدار ضعفكم ، مع أنكم تتبجحون وتتفاخرون بقوتكم . مع أنكم لو كبحتم جماح غيظكم ، وتغلبتم على عواطفكم

الثائرة ، لأظهرتم أنكم أقوياء .

والوديع يقاوم الدوافع التى تدفعه للانتقام لنفسه . عندما تلحقنا أية إساءة فإنها تحرك فى قلوبنا عاطفتين ، الأولى شخصية ، والثانية عامة . الأولى سريعة وحادة ، والثانية تُظهر نفسها عادة بعد بضع سنوات من التعليم فى مدرسة الاختبارت . من الطبيعى أن نغتاظ جداً عند الشعور بأية إساءة تلحقنا . ولعله يكون بالحرى ربحاً جزيلاً عندما ينسب الناس الإهانات التى تلحقهم لشر العالم ، ولا يعتبرونها إهانات شخصية ، يؤيدهم فى هذا ما يرونه من بحار الدموع والدماء التى تفيض على العالم ، وتزور كل شاطىء ، وتقتحم كل بيت .

أما مع الوديع فالأمر بعكس هذا . فإنه عندما تلحقه إساءة ترشده نعمة الله ليحزن من أجلها ، على أساس أنها علامة على تعاسة الشخص الذى يوجه الإساءة ، وعلى كثرة المظالم التى يرزح العالم تحتها . وبتعبير آخر إنه يتألم كابن للآب العظيم ويدرك شيئاً عن آلام قلب الله لما يحتك بمظالم هذا العالم ، ويترك الأمر لله لكى يبرّئه ، ولكى ينتقم ، ويصلى لكى يعجل الله ذلك اليوم

الذى تصحح فيه كل الأوضاع الخاطئة ، وتُمسح كل الدموع . الشخص الوديع يصلى مردداً صلوات المسيح طالباً الصفح عمن فعلوا الشر أكثر مما يعلمون .

الوديع رجل هادىء . لقد جمع الرسول بطرس هاتين الفضيلتين معاً عندما قال إن النساء يجب أن لا تكون زينتهن التحلى بالذهب ، ولبس الثياب ، بل « زينة الروح الوديع الهادىء » . الروح الوديع هادىء وهو يحتمل ويتألم فى صمت ، ولا يتحدث عن الإساءات التى حلت به إلا فى أذن الله ، وعندئذ لا يطلب منه أن ينتقم ، بل أن يجدد القلوب . الشخص الوديع يبكى من أجل المسىء أكثر مما يبكى من أجل جروحه ، ولو كانت الدماء تنزف منها بغزارة . إنه يدهن رأسه ويغسل وجهه ، دون أن يُظهر آلامه للناس . ومن هذه الثقة الهادئة تأتى القوة المقتدرة ، التى تحتمل ، وتؤمن ، وترجو ، وتصبر على كل شىء ، إلى أن تغلب بقوة الصبر . لا شىء يُبطل فعل قذيفة المدفع مثل الرمال .

والوديع يحتمل الإساءات . عندما حث الرسول بولس

مؤمنى كورنثوس بأن لا يحاكموا بعضهم بعضاً أمام المحاكم قال لهم : « لماذا لا تظلمون بالحرى ؟ » (١ كو ٦ : ٧) . إنه خطأ شنيع أن ندع العاطفة التى تؤذينا تخلف عاطفة مثلها . ينبغى أن ندرك بأن الكلمات الشريرة والتصرفات الشريرة التى تؤذينا منبعثة من نار جهنم ، ولا شىء يتمم مقاصد عدو نفوسنا مثل انتقال العواطف الثائرة من المسىء إلى المساء إليه ، ومن هذا الأخير إلى غيره . عندما يكون الموقد ممتلئاً فحماً متقداً ، ويقلب لكى يشعل بيقاً ، فإن هذا يوضح لنا كيف ينقل المرء أفكاره وإحساساته إذ يكون ممتلئاً حقداً وضغينة وحسداً . هذا خطر شديد يهاجمنا كلنا. إن السريعى الانفعال سريعو الانفجار . إنهم يشبهون الحطب أمام النار ، والبارود أمام شرارة النار . وبالعكس ، إن الوديع يقابل الإساءة بمقاومة سلبية تطفىء نارها ، بإجابة هادئة رقيقة تحوّل الغضب . وإذ يقف هادئاً رافضاً أن يشتعل غضبه فإنه يكون سداً منيعاً لا تنفذ منه أول جراثيم المرض الوبائى . والروح الوديع يشبه شجر الكافور المضاد للفساد والعفونة ، ولا تنتشر منه جراثيم حدة الطبع . إذا ما استطعنا

أن نحيط كل شخص غضوب بجماعة من الودعاء فإن حدة طبعه تأكل نفسها .

والوديع يعتقد أن الشر الذى يصيبه قد سمح به الله لمقاصد حكيمة . لما كان داود صاعداً على جبل الزيتون تقدم شمعى ليسبه . فطلب أبيشاى من داود أن يأذن له لكى يبطش به . لكن الملك الوديع قال : « دعوه يسب لأن الرب قال له سب داود » (٢ صم ١٦ : ١٠) . فى هذه الكلمات القوية المرّة اكتشف داود صوتاً آخر ، هو صوت ذاك الذى أحبه كأب ، مع أنه كان يكره حطيته كراهية شديدة .

آه ، خليق بنا أن نعتقد دواماً بأن الله يأمر بما يحل بنا ، أو يسمح به . هو يأمر عندما تأتينا التأديبات من قبل العناية الإلهية . وهو يسمح عندما تحل بنا « ضربات بنى آدم » (٢ صم ٧ : ١٤) . إنه لأمر يسير أن نكون ودعاء أمام يهوذا الإسخريوطى وفرقته التى معه عندما نقدر أن نقول : « الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها ؟ » (يو ١٨ : ١١) .

الودعاء ينالون الإرشاد بكيفية عجيبة . « يدرّب الودعاء فى

الحق ، ويعلم الودعاء طرقه » (مز ٢٥ : ٩) . المرء المحتد الروح يعجز عن أن يتبين تحركات عمود الله المرشد . وحدة الغضب تثير عاصفة تعكر وجه السماء وتكدر المياه الهادئة فى البحيرة . وعندما تضطرب مياه النفس تغطى على صوت الله الهادىء الخفيف. ولذلك فعندما تلحقك الإساءة اصمت واهدأ . انتظر الله . هو يبين الطريق الذى يريدك أن تسلك فيه ، ويرشدك إلى الإجابة التى يريدك أن تكتبها ، وتصرفات المحبة التى يريدك أن تتخذها .

والودعاء يعلن الله برّهم . سبق أن تنبأ النبى عن المسيا أنه « يحكم بالإنصاف لبائسى الأرض » (إش ١١ : ٤) . أى لودعاء الأرض . ليس فى العالم العتيد فقط ، بل الآن أيضاً ينتصب كرسى القضاء ، وإليه يلجأ المظلومون ، ويدافعون عن أنفسهم ، والرب يصغى إليهم وينصفهم . مما يلاحظ باهتمام كيف أن المظالم التى توجه للبائس ترجع دواماً على الظالمين ، مثل السلاح الاسترالى الخشبى القديم الذى يرمى به فيعود لقاذفه . قطع أدونى بازق أباهم أيدى وأرجل سبعين ملكاً ، فقطعت أباهم يديه ورجليه (قض ١ : ٦ و ٧). صلب اليهود يسوع الناصرى فصلب الرومان الكثيرين منهم .

والودعاء يرثون الأرض. حتى الآن يحصل الودعاء على أحسن

مفاخر الأرض . لكن أهل العالم لا يصدقون هذا . فإنهم يظنون أن الودعاء يعاملون أسوأ معاملة ، لأنهم لا يريدون الدفاع عن حقوقهم ، ولا يمسكون السيف للدفاع عن أنفسهم ، ولا يعاملون الناس بنفس معاملتهم . لكن كلمات المسيح لن تسقط على الأرض. فالودعاء يجدون لذة فى أفراحهم البسيطة أكثر مما يجد فاعلو الشر فى كل ثروتهم . وأنقياء القلب يجدون ينابيع من السلام والسعادة فى المناظر العادية والأصوات العادية ، ولا يحسون بأى أثر لوخزات الضمير أو الذكريات المريرة لما لحق بهم من إساءات . والولد الراعى الصغير ، الذى ذكره يوحنا بنيان فى كتابه « سياحة المسيحى » ، وجد لذة فى الوادى المنخفض أفضل من أجمل الجبال وأغناها . لا تنزعج عندما تلحقك أية إساءة ، بل عليك أن تتحلى بالصبر . إختبىء تحت جناح الله . لا تدع شيئاً يسلبك قوة الفرح بالأولاد والعصافير ، والزهور ، والمسرات البسيطة البريئة.

لا شك فى أن الوقت آتٍ عندما يُغلب العالم نفسه أمام وداعة ورقة المسيح وقديسيه . سوف يتغلب الفجر الهادىء الوديع على الليل العجاج . وعندما يأتى الربيع الجميل الرقيق فإنه يهدىء

عواصف الشتاء . وأبطال الصليب ، المتشحون بثياب القداسة والوداعة سوف يكتسحون جحافل الخطية .

أتريد الحصول على هذه الوداعة ؟ ليس لها ينبوع تتفجر منه سوى الينبوع الذى فُتح فى قلب المسيح ، والذى يقدمه روح الله ، لأن الوداعة ثمرة من ثماره . يا للوداعة التى بها تحمل روح الله منازعات الناس ومقاوماتهم (عب ١٢ : ٣) . فلنثبت فيه متوسلين إليه أن يُظهر فينا هذه النعمة ، ويعيننا على أن ننقلها إلى العـــالم .

صلاة

أيها المخلص الوديع الرقيق ، الذى إذ شُتمت لم تشتم عوضاً ، وإذ تألمت لم تهدد (١ بط ٢ : ٢٣) . أعطنى من روحك ، لكى أكون هادئاً وقوياً فى احتمال الإساءة ، فأغلب الشر بالخير (رو ١٢ : ٢١) .

(٥)

الجياع والعطاش يشبعون

« طوبى للجياع والعطاش إلى
البر ، لأنهم يشبعون » (مت ٥ : ٦)

تنبع هذه الخاصية ـ الجوع والعطش ـ بصفة طبيعية من الخواص السابقة . إلى الآن كنا نتأمل فى الناحية السلبية للصفات المسيحية ـ مسكنة الروح التى تنحنى أمام الله ، ولا تفكر فى نفسها أكثر من أنها خاطئة نالت الفداء ـ الحزن الذى يكتئب سراً بسبب شر العالم وشر القلب ـ الوداعة التى تعلمت أن تحتمل التوبيخ والإساءة بهدوء . أما الآن فإننا نرى الناحية الإيجابية تُبرز نفسها . فالمرء الذى دفن وجه فى التراب ، أو بللته الدموع ، أو غطاه الخزى والعار ، يرفعه الآن إلى الله صارخاً مع داود : « كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه هكذا تشتاق نفسى إليك يا الله » (مز ٤٢ : ١) . كنت تسىء فهمه ، وتظن أنه وهنت قواه جداً ، وعجز عن مواصلة سعيه . أما الآن فإنك ترى أن كل

قوى طبيعته تمر فى قنوات لا يراها البشر ، وتتجه بشدة نحو الأبدى غير المنظور .

إن شهوة النفس المتجددة لا تتجه فقط نحو الله ، بل نحو البر ، هى تشتهى الحق وعمل الحق وتسلك فى كل شىء حسب المثل الأعلى لله ، وأن يكون لها ضمير بلا عثرة ، وأن لا يدينها القلب . لا يكفيها أن تحس بالضعف والجهل ، أو تحزن من أجل الخطية . فالتائب الحقيقى يشتهى أن يتعلم سر السلوك أمام الله فى قداسة وبر كل أيام حياته .

والشىء الوحيد الذى يجب أن نندم عليه هو أن شهواتنا نحو الله ونحو بره ضعيفة جداً . الجوع يسبب الألم . ولا شىء يزعج النفس مثل آلام العطش الناشىء من حرارة ورمال الصحراء . ويندر أن نرى تاريخ حياة أشخاص اختبروا التعطش الطبيعى للطعام والشراب . ولماذا ؟ أيجوز لنا أن نسأل كيف ننمى ونضاعف هذا التعطش لله بحيث لا نحتاج إلى الضغط على أنفسنا لملاحظة أوقات الصلاة والعبادة وتذكر اسمه ، ونشتهى هذه كما يعد الجائع الدقائق الباقية لتناول الطعام ؟ فلنذكر بأننا لا

نعرف إلا القليل عن تلك الأشواق نحو الله التى سكنت فى قلوب كل القديسين . ولنذكر أن عدم معرفتها هو علامة ضعف الحياة الداخلية . ليت الله يخلق فينا هذا الجوع وهذا العطش ، حتى وإن سببا آلاماً مستمرة فى حياتنا ، وذلك لكى ندرك السعادة التى تأتينا عن طريق معرفة الله ومحبته .

١ ـ الشهية الروحية

إنها تنشأ من تكوين طبيعتنا . نحن لا نقدر أن نتخطى حدودها ، لأن الله هو الذى خلق الطبيعة بفكره وبقدرته . عندما نتحدث عن الطبيعة يجب أن ننقل تفكيرنا منها إلى الله خالقها ، فنجد أن الجواب الشافى لكل الأسئلة والمشاكل هو أن نقول : « هكذا أرادها الله أن تكون ، وذلك فهى كائنة على هذا الوجه » .

يجب أن نذكر بأن مصدر كل الغرائز القوية الجوهرية التى للطبيعة البشرية راجع لكياننا الأدبى الذى خلقته الحكمة الإلهية ، بالقدرة اللانهائية . هل تسأل لماذا وُجدت عقيدة خلود النفس والحياة العتيدة فى كل أمة تحت السماء ؟ لماذا تقترن خطايا

الكذب والسرقة والقتل بالشعور بالخجل ، والرغبة فى إخفائها ؟ لماذا نجد فى أقدم مواطن الإنسان آثاراً للمذبح والهيكل ؟ ولماذا تنجذب قلوب بعضهم البعض بمحبة لا تزول ؟ إن الجواب الوحيد لكل هذه الأسئلة هو : « إن هذه الأمور أوجدتها الطبيعة التى غرسها الله فينا » . هى ضرورية جداً وأساسية وجوهرية ، ولازمة لزوم تقاطيع الوجه ، ومثل المبادىء الأولية فى علوم الرياضة والحساب .

نحن نجوع ونعطش لأن تكوين جسدنا قد خُلق بحيث يطلب الطعام والشراب من تلقاء ذاته . لا يوجد بيننا من يعيش مكتفياً بذاته ، ومستقلاً عن العالم الفسيح الذى نكوّن نحن جزءاً منه . أما الأسئلة التى توجّه كيف وُجدت الأمور هكذا فإنها لا تغير من حقيقة الأمر الواقع ، وعلى هذا المقياس نقول إن الله خلق نفوسنا لشخصه . لقد وضع فى أعماقنا مطالب ورغبات تتطلب الشبع من الله غير المنظور ، الأبدى .

نحن نستطيع أن نرى أرض البر والسعادة التى أتينا منها . إذ جذبت الكبرياء جنسنا البشرى نزل إلى هذا الجو الفاسد ،

لكنه لن ينسى الموسيقى الكاملة التى سبق أن سمعها ، ومنظر الجمال الكامل الذى سبق أن رآه . إن التفكير فى الله يلازم الإنسان ، كذلك التفكير فى موطنه الأصلى . ومهما تمرغ فى الخطية والشر فإنه لن ينسى الله نسياناً مطلقاً . وسوف يأتى الوقت فى حياته الذى فيه تستيقظ النفس المكبلة بالقيود ، السجينة ، المسممة بالمخدرات ، وتقوم وتخرج ، وتبدأ بأن تصرخ بمرارة قائلة : « لقد أخطأت وعوّجت المستقيم ولم أُجاز عليه » (أى٣٣ : ٢٧) - أى ولم أنتفع بما فعلت شيئاً . « روحك الصالح يهدينى فى أرض مستوية » (مز ١٤٣ : ١٠) - أى فى أرض الاستقامة . « ضللت كشاة ضالة ، اطلب عبدك » (مز ١١٩ : ١٧٦) .

إنها تسبب الألم . هنالك مصادر كثيرة للالم . لكن لعل الله قد سمح به مبدئياً ليلزمنا باتخاذ الإجراءات اللازمة لصحتنا وسلامتنا . إن الآلام الشديدة الناشئة من تسوس الأسنان قُصد بها أن تُلزمنا بأن نحسن المضغ . وألم الجوع والعطش قُصد به أن نبحث عن الطعام الذى بدونه يتعب الجسد ثم يموت . ما أرق محبة الله فى معاملته لبنيه إذ يرسل إليهم الآلام ليتخذوا

الاحتياطات اللازمة لسلامتهم .

هكذا الحال فى الناحية الأدبية . فإننا يجب أن نشكر الله عندما لا نرضى بحالتنا ، وإذ نكره أنفسنا نصرخ إلى الله طالبين بره ، عندما نتحول عن طرقنا المعوجة بالاشمئزاز . وعندما تحل بنا حالة الضجر وعدم الراحة . ادّخر مثل هذه الاختبارات لأن نعمة الله تستخدمها لكى ترجع إليه . كانت هذه العبارة « باطل الأباطيل » التى طالما كررها سليمان فى سفر الجامعة هى العلامة على شفائه .

وهى عامة شاملة . كما إننا لم نر قط رجلاً أو امرأة يعجزان عن الجوع والعطش هكذا لا يوجد إنسان يعجز عن أن يحتوى الله فى قلبه ، أو لا يريده كل أيام حياته ليهبه حياة كاملة . كثيراً ما تنام الشهية الروحية ، كما يحدث مع من استعبد للمسكرات . فالطفل الذى اتخمت معدته بالحلوى ، والناقه من المرض الطويل الشديد ، قد يفقدان شهيتهما ، لكنها قد تستيقظ فى أى وقت . هكذا الحال مع تعطش النفس إلى الله . فقد استيقظت فى المرأة التى كانت خاطئة ، وفى اللص الذى آمن على الصليب ، وفى زكا

العشار . فكر فى هذا بمرارة إن لم تكن الخطية قد عكرت صفو حياتك بعد ، وقضت على سلامك . اغتم إن كنت لا تحس بالرغبة فى حياة أفضل ، ولا تشتاق إلى البر ، وتحس بأنك مستريحاً بحالتك الحاضرة ، ولا تحس بالحاجة لطلب الله . وهذه كلها علامات خطيرة تنم عن أمراض خطيرة .

قد تكون كل نواحى نشاط الإنسان هى - كما قال الرب يسوع المسيح - ماذا نأكل ؟ وماذا نشرب ؟ وماذا نلبس ؟ وأين نسكن ؟ هذه المطالب الأساسية هى التى تحرك العالم . وعلى هذا المقياس نقول إن تشوق البشر الشديد نحو الموسيقى ، والفنون ، ومحبة الجمال ، والسعى نحو الصالح العام ، يرجع إلى تشوق النفس نحو ما لم تصل إليه . فهى لا تجد كفايتها فى ذاتها ، ولا تعرف دواماً ماذا تحتاج إليه ، مثل الطفل الذى يحس بآلام الجوع ويصرخ بشدة ومرارة . أثناء المجاعات الشديدة التى حدثت فى الصين والهند كان أهل البلاد يعيشون على نوع من الطين يمكن أن يؤكل . كان هذا الطين يسد رمقهم ، لكنهم كانوا يضعفون تدريجياً إلى أن يموتوا . وهنالك نبات فى أستراليا يسمى « نارود »

يشبه الدقيق تماماً ، لكنه خالٍ من عناصر التغذية ، والذين يأكلونه لا يحسون بالجوع ، لكنهم بعد أسابيع قليلة يموتون جوعاً . هذا هو حال الناس الذين يطلبون ما ليس هو خبزاً ، ويرفضون خبز الله ، الذى هو المسيح ، ويأكلون الرماد (إش٤٤: ٢٠) ، قد ينجحون فى إخماد شهيتهم لله الأبدى غير المنظور ، ومع ذلك يهلكون بسبب انقطاع صلتهم بالله .

٢ ـ طبيعة الشهية الروحية

نحن لا نعرف إلا القليل عنها . لا نقدر أن نقول دواماً مع المرنم : «فرحت بالقائلين لى إلى بيت الرب نذهب» (مز ١٢٢: ١) ، « انسحقت نفسى شوقاً إلى أحكامك فى كل حين » (مز ١١٩ : ٢٠) ، أو مع أيوب : « أكثر من فريضتى ذخرت كلام فيه » (أى ٢٣ : ١٢)

وهناك القليل من الإرشادات البسيطة لإنعاش شهيتنا نحو الله :

احذر من الطعام الآخر الذى تتناوله . عندما لا يقدر الأولاد أن يتناولوا الطعام الذى أعدته لهم أمهم فقد تظن بأنهم

عرجوا على بائع الحلوى فى طريق عودتهم من المدرسة إلى البيت ، ولذلك صُدت شهيتهم . أليس مطلوباً منا ـ قبل أن تنفتح شهيتنا لكلمة الله ـ أن نكف عن قراءة الكتب القذرة التى نقرأها بنهم ؟ إن الروايات العاطفية ، والأحاديث القذرة ، والإفراط فى تناول الطعام وفى الشهوات الجنسية تسرع فى جعلنا عاجزين عن التمتع بالله.

والأمر يحتاج إلى التدريب . كلما ازدادت التدريبات الجسدية ازدادت حاجتنا إلى الطعام ، وازددنا تمتعاً به . الألعاب الرياضية ، والمشى الطويل ، وإجهاد العضلات بأية طريقة ـ هذه كلها تفتح الشهية للاكل ، وتجعل أبسط الطعام لذيذاً . والذين يندر أن يرفعوا أيديهم عن المحراث ، الذين يزرعون بجوار المياه ، ويشتغلون فى وقت مناسب ووقت غير مناسب ، فإنهم أكثر مَن يفرحون عندما يدق الجرس للراحة وتناول الطعام .

تناول المقويات . لا يوجد مقوٍ للشهية الروحية أعظم من سير الآباء القديسين . وجميل أن نجد الكثير منها فى متناول أيدينا . وكثيراً ما كانت سير الآباء باعثة لمن يقرأها على طلب الروح القدس .

إصعد إلى الجبال . إن أفضل منعش للشهية هو الهواء النقى المنعش المحيط بمذابح العالم الطبيعية التى خلقها الله حيث تنمو أشجار الصنوبر ، وتنحدر الينابيع إلى أسفل ، وتبدو أصوات الوادى بعيدة . ليس شىء يقوّى الصحة مثل الصعود للمسيح فى الجبال العالية حيث اعتاد أن يصلى . هناك تتشبع الدورة الدموية بالهواء النقى ، والعين تلمع بالرؤى الصافية ، وشهية النفس تتقوى.

ينبغى أن لا نكتفى قط بالمستويات المنخفضة ، والأشواق الماتعة ، والمثل القاصرة التى تُرضى أصدقاءنا . إن الرجاء الوحيد للفنان المبتدىء هو أنه يجب ألا يكتفى بالمستوى الذى ينجح فى القرية التى وُلد فيها ، بل تلك التى تعتبر أفضل ما يُعرض فى المدن الكبيرة . والرجاء الوحيد لفرخ الأوز العراقى المولود فى المزرعة هو أن لا يكتفى بأن « يبلبط » فى البرك الشحيحة المياه . ورجاء النفس هو أن لا تقارن ذاتها بمن هم أدنى منها ، بل أن تثبت نظرها نحو بر الله المعلن فى حياة يسوع وفى كلامه : « ليس إنى قد نلت ، أو صرت كاملاً ، ولكنى أسعى ... أمتد إلى ما هو قدام » (فى ٣ : ١٢ و ١٣) . يجب أن نحرص على تطبيق أعلى المثل للحق على أنفسنا ، على أقربائنا ، وعلى علاقاتنا مع زملائنا ،

وعلى موقفنا بإزاء الله ، على أن نقدر أن نكتفى بالحياة مع الله ، على أساس أنه هو وحده الغذاء المشبع للنفس . قال هدسون تيلر ـ المبشر لبلاد الصين ـ فى إحدى المرات : « لقد قضيت أربعين سنة فى الصين ، ولم أعمل هناك إلا القليل . وقد حرصت على أن أختلى بالله كل يوم ، وأعرف الله نفسه ، وأعرف أن قلبه محبة ، وأن قلبه يحرك يده لكى يغيثنا » . هنا مثل يجدر بنا أن نتمثل به .

٣ ـ المثل الأعلى لإشباع هذه الشهية

يقول مثل قديم : « الله لن يخلق أفواهاً ويتركها ، لكنه يخلق معها ما يكفيها من الغذاء » . وأشبال الأسود لا تطلب إلا ما يقدمه لها الله . يخلق للسمك الذبان الذى تختطفه ، وللطيور النباتات التى تلتهمها ، وللرضيع اللبن المختزن فى ثدى أمه . وكل غذاء يناسب آكله . وغريزة حب الخلود تناسبها المنازل التى ذهب المسيح إلى السماء ليعدها لنا ، والشهوة إلى المدنية تناسبها المدينة التى لها الأساسات ، والرجاء الحىّ الذى له وُلدنا بقيامة المسيح تناسبه ثماره . وكل ما تشتاق إليه أنت وأنا فى أقدس لحظات حياتنا قد دبرته لنا نعمة الله الغنية . لا يوجد جوع ليس

له غذاء ، ولا يوجد جناح بدون هواء يناسبه ، ولا توجد نار بدون ماء يناسبها ، ولا يوجد صراخ من الطفل دون محبة الأم تناسبه ، ولا توجد نفس تجوع وتعطش إلى البر دون أن تجد شبعها فى الله .

أتريد أن تعرف ما هو خبز الله الذى يقدر أن يشبع جوع قلب الإنسان الشديد ؟ يقول يسوع : « أنا هو خبز الحياة . من يُقبل إلىّ فلا يجوع ، ومن يؤمن بى فلا يعطش أبداً . أنا هو خبز الحياة النازل من السماء لكى يأكل منه الإنسان ولا يموت . والخبز الذى أنا أُعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم . من يشرب من الماء الذى أُعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد » (يو ٦ : ٣٣ ـ ٥١ ، ٤ : ١٤) .

لقد صار المسيح لنا براً (١ كو ١ : ٣٠) ، وبتعبير آخر إن الإنسان الذى صار للمسيح ، واصطلح معه ، واتصل به صلة قوية ، يصطلح مع نفسه دون أن يشعر ، ومع الناس ، ومع الله . لا تنزعج بسبب المطالب التى لا حد لها المحيطة بك . بل افعل شيئاً واحداً : إجعل الله هو الأول والأخير . ولما تكون معه كحجر الأساس ، فإن بناءك يصبح قوياً جداً لله وللناس .

هل أنت شبعان ؟ هل تعرف ما هو معنى الشبع ؟ هل تعرف معنى قول الرسول إن الرسل « مملوؤن فيه » ؟ (كو ٢ : ١٠) . إن كنت لا تعرف ، وتريد حقاً معرفة هذه الاختبارات فالله « يملأ كل احتياجك بحسب غناه فى المجد » (فى ٤ : ١٩) . من يسأل يُعطَ ، ومن يطلب يجد ، ومن يجوع ويعطش يُشبع . إرفع قلبك إلى الله وقل له : « املأنى » . اصرخ إليه بشدة . إنه ان يعطيك حجراً بدل الخبز ، أو حية بدل السمكة (مت ٧ : ٩ و ١٠) . آمن بأنك سوف تأخذ فى نفس اللحظة التى تطلب فيها ، وعندئذ تعرف بركة الآلام التى دفعتك لله ، وبركة الشبع من الله ، وبركة طلب المزيد من الله ، وعندئذ تتغنى مع السيدة العذراء : « أشبع الجياع خيرات » (لو ١ : ٥٣) . « كما من شحم ودسم تُشبع نفسى ، وبشفتى الابتهاج يسبحك فمى » (مز ٦٣ : ٥) .

صلاة

إليك يا رب آتى بالأشواق التى خلقتها أنت فىّ ، وأنت وحدك القادر على إشباعها . هب لى ذاتك ، لأنى خُلقت لك ، وبدونك ان أجد راحة أو شبعاً . جسدك مأكل حق ، ودمك مشرب حق .

(٦)

تخرج وتعود

« طوبى للرحماء لأنهم
يرحمون » (مت ٥ : ٧)

لاحظ أين وضع مخلصنا هذا التطويب ، الذى قلبه رحمة . لقد جاء بعد التشوُّق إلى البر ، الذى يميز البار ، لأن الرحمة هى الزهرة البيضاء فوق ساق حياة البر . والواقع إن انعدام الرحمة من طباعنا وميولنا يُظهر بأن برنا هو بر حسب الظاهر مثل بر شاول الطرسوسى الذى كان قبل تجدده « من جهة البر الذى فى الناموس بلا لوم » (فى ٣ : ٦) ، لكنه كان خالياً بالتمام من الفضائل المسيحية التى تبين توفر القلب النقى حقاً . إن القدين الخالى من الرحمة هو القدين الشكلى الخالى من القوة الداخلية .

لذلك وضع ربنا ـ بحكمة إلهية ـ الرحمة بعد البر ، أولاً لأن المرء يجب أن يكون باراً قبل أن يكون رحيماً ، وثانياً لأنه يجب أن يكون متوافقاً مع ينبوع الرحمة ، لكى تنتقل منه صفة الرحمة الإلهية إلى غيره بلا عائق ، وتبرهن بأنه ابن لكلٍّ الرحمة .

إفحص قلبك وانظر إن كنت قد تعلمت الصفح عن الخطاة ، والشفقة على الحزانى . وإلا فإنك لا يمكن أن تحسب نفسك باراً حسب فكر الله .

الرحمة هى الامتياز الوحيد للمسيحية . كان معلمو الأخلاقيات فى القديم ينادون بأربع فضائل رئيسية هى : العدل فى المعاملات البشرية ، والحكمة فى إدارة الأعمال ، والقوة فى احتمال المتاعب والأحزان ، والاعتدال أو ضبط النفس . لكنهم لم يعرفوا شيئاً عن الرحمة ، التى ليست هى طبيعية للقلوب البشرية ، لكنها صفة دخيلة أحضرها المسيح معه من السماء . لما كان المسيح بين البشر كان يسكب الرحمة فى شكليها : المغفرة والإغاثة ، للمبغضين وللمظلومين . وعندما عاد إلى الآب تسلمت الكنيسة عمله المبارك ، واقتربت من العالم كالندى على المراعى الجافة ، لكى تكون رحمة على المجتمع . لقد وجدت أقبح التصرفات شائعة فأبطلتها ، وأقذر العادات فأوقفتها ، والمسليات والألعاب العالمية فقاومتها ثم أبطلتها نهائياً . ثم مدت صولجانها الرحيم إلى الأسرى والنساء المظلومات بأنواع الظلم المختلفة ، والأطفال

الصغار . لقد عاشت لهذا الغرض الواحد وهو خدمة من أساءوا إليها واضطهدوها ، وكذلك من أجل من كانوا يداسون بالأقدام بسبب الطمع والشهوة والأحقاد ، غير مبالية بما كان يحل بها من متاعب . وهكذا بزغت الرحمة من الأرض استجابة للبر الذى تطلع من السماء .

١ ـ صفة الرحمة

واضح إنها وجه من وجوه المحبة ، لأن كلا من هذه التعريفات احتفظت بناحية من نواحى محبة الله فى نفس الإنسان.

الأولى هى المحبة فى تواضعها بفكرة عظيمة عن الإمكانيات التى فى متناول يدها أنها تحسب نفسها بأنها لم تدرك .

الثانية هى محبة فى دموع تبكى لعدم توفر المحبة فى العالم .

الثالثة هى المحبة التى تحتمل الإساءة راجية أن تقضى عليها .

الرابعة هى المحبة التى دفعتها رغبة ملتهبة للمزيد من الشبع .

الخامسة ، التى نتحدث عنها الآن ، هى المحبة التى تأخذ بالثأر من المسىء .

السادسة هى المحبة المشتغلة المقترنة بالإيمان النقى جداً بحيث لا يقدر الشر أن يقاومه .

السابعة هى المحبة الرزينة جداً بحيث تستطيع أن تهدىء الغضب والمنازعات .

الثامنة هى المحبة التى يُساء فهمها و تُضطهد .

إذن فكل من هذه النواحى وجه يسطع عليه نور الشمس ، ومنه ينعكس على زاوية جديدة بجمال جديد . فدع محبة الله تسكن فيك بغنى ، وإذ تشع منك لتقضى على شرور العالم الكثيرة يبدى كل وجه من أوجه الخطية ويعكس صفة جديدة خاصة . قد يبدو ، يوماً ما ، أن الخطية قد سُمح بها لكى تُبرز جمالاً كاملاً للمحبة الإلهية ، كما تحمل السحب محتويات النور فيظهر قوس قزح .

هنالك فرق بين الوداعة والرحمة . الوداعة وجه سلبى للمحبة ، والرحمة وجهها الإيجابى . عندما يدخل الوديع فى اتحاد مع محبة الله التى تحتمل دواماً كل إساءات العالم ، وعندما يدرك أن قوة الشر سوف تلاشيها فى الحال قوة الاحتمال مع الوداعة ، فإنه يتألم مع طول أناة الله . لكن الرحمة تذهب إلى حد أبعد . إنها تتخذ

بعض الاجراءات مع المسيء . فى الرحمة تظهر محبتنا العطف نحو المسيء ، وتمد له يداً رقيقة ، وتصب زيتاً وخمراً ، وتسعى بجمر النار أن تذيب قلبه القاسى ، وتنقله إلى حالة أكثر سعادة . الرحمة تبحث عن المسيء لكى تقوده إلى التوبة ، تلاحظ أول خطوة نحو الرجوع ، وتقابله ، وترحب به بقبلات ، وتقضى على الإساءة التى ارتكبها ضد نفسه ، وتعيده إلى مركزه الأول .

وهنالك أيضاً فرق بين الرحمة والصفح . المحبة هى مصدر وأصل الكل . النعمة هى محبة تخرج إلى خارج ، وتلتقى بمن خسروا كل حقوقهم قبلها . الصفح هو محبة تؤكد للمسيء بأن كل إساءات الماضى قد نُسيت . الرحمة تحاول أن تلطف وتخفف ظروف الخاطىء . عندما توجه إليك أية إساءة فكر فى آلامك أقل من تفكيرك فى حالة قلب المسيء ، فى ظلامه وبؤسه . وعندما تدرك هذا حاول أن تهوّن من شأن الإساءة . هذه هى الرحمة .

٢ ـ الظروف التى توقظ الرحمة

أولاً : الخطية : فى المزمور الحادى والخمسين نجد الصرخة الحزينة للقلب المنكسر : « ارحمنى يا الله حسب رحمتك ، حسب

كثرة رأفتك امح معاصىّ ... إليك وحدك أخطأت ... فتبتهج عظام سحقتها » . الغفران لا يكفى ، فالعظام المنسحقة تصرخ طالبة الشفاء . الغفران لا يشمل بالضرورة التعويض عن الإساءة التى ارتكبها المسيء . قد يُغفر للسكران ، ومع ذلك يجب أن يتحمل نتائج إساءته لجسده وأعصابه . ومع ذلك فعندما يُغفر لشخص كهذا فإنه يستطيع أيضاً أن يلجأ لرحمة الله ويطلب شفاء تلك اليد المرتعشة ، والأعضاء الأخرى التى تأثرت بالمسكرات ، ويبذل كل جهده لكى يعود لحم كلحم صبى صغير . هكذا تفتخر الرحمة على الحكم .

ثانياً : الآلام : يحدثنا لوقا الإنجيلى (١٠ : ٣٧) عن رحمة ذلك الغريب الجنس التى شهد لها حتى الكاتب مرغماً . قال الرب ، بعد أن استعرض الكاهن ، واللاوى ، والسامرى : « أى هؤلاء الثلاثة صار قريباً للذى وقع بين اللصوص ؟ » ، فأجاب الكاتب الذى اضطر للاعتراف بالحق : « الذى صنع معه الرحمة » .

فى مثل هذه الأحوال التى تحيط بنا فى أية مدينة كبيرة يجب

أن نحرص على إظهار الرحمة الغنية . ليس هنالك أشر من منعها خوفاً مما تتطلبه من نفقة . خير لنا أن يخدعنا الناس أو يسيئوا إلينا الآن من أن نكف دواماً عن عمل الرحمة . يجب أن نحرص بطبيعة الحال أن لا نضر الناس بتشجيعهم على الكسل والغش. كثيراً ما كانت رحمة جزيلة أن نمتنع عن عمل الرحمة عن الذين يسيئون التصرف بها .

ويجب أيضاً أن نحرص على أن لا نكتفي بأول باعث لعمل الخير فنلقي بقطعة من النقود لمن يمد يده دون التدقيق في البحث عن المحتاجين الحقيقيين ، وعن أحسن الطرق لمساعدتهم . الرحمة قد ترفض العطاء المنبعث من عفو الساعة لكي يمكن أن نعطي مبالغ أوفر بصفة دائمة . وفي نفس الوقت لنحرص جداً على أن لا نوكل عملية العطاء لفعلة مأجورين . إن عمل الخير المنظم علامة على المسيحية الحقة . إن أردنا أن تكون الرحمة دائمة يجب أن تكون منبعثة من الاحتكاك شخصياً بالحزاني والمتألمين . يجب أن يمد عامل الرحمة يده لتضمد الجروح ، وتخفف الويلات ، وتسهر على مساعدتهم بالطريقة المثلى التي تحتاجها ظروفهم .

ثالثاً : الجهل والضعفات : قيل عن ربنا يسوع المسيح إنه كان رحيماً ، وقادراً أن يترفق بالجهال والضالين (عب ٢ : ١٧ ، ٥ : ٢) .

الرحيم لا ينتظر حتى يلجأ إليه الحزاني وذوو الحاجة . لكنه يبحث عنهم . هو لا ينتظر حتى يأتي إليه الضرر والتلف قبل أن يتصل بالسماء ليعوضه عن أتعابه . لكنه يسطع نوره إذ يمر في الشوارع القذرة ، ويتسلق السلالم المتكسرة ، ويتتبع آثار من أساء إليهم الزمان حيث يختبئون قروحهم المتقيحة . يا للجمال الذي يسطع على وجه الرحماء عندما يرون وجه البؤساء والمساكين الذين يتأفف منهم عظماء العالم ، ويديرون وجوههم عنهم ! هذا هو العمل الذي يُسر به الرحماء . هذا داخل في تكوينهم . إنهم لا يحتاجون إلى من يحثهم ، فقلوبهم هي التي تحثهم . وهم إنما يتبعون تعاليم المخلص ومثاله . إن أيديهم ماهرة ورحيمة . وخطواتهم جميلة ونبيلة إذ يسيرون في طرق الجبال الوعرة التي تُدمي الأقدام . وإذ تتطلع إلى أي واحد منهم تعتقد أنك قد التقيت بواحد من أسرة الله .

٣ ـ البركة

لقد لاحظنا أن القطـــوبيات الثلاثة الأولى تمس محيط اختباراتنا الأرضى ، حيث يجب أن نقابل العوز بعكسه . بعـد ذلك نجد أن السعادة فى الرابعة تتضمن فى تقديم الشبع المناسب . أما الخامسة والسادسة والسابعة ، فإنها تخص القديسين الذين تنحصر سعادتهم فى طلب المزيد من النعمة التى حصلوا عليها . وبعد ذلك نرى أن الرحمة هى الجزاء المناسب لمن يرحمون .

ألم تلاحظ قط أن الطريق لهـــذه الصفات للحياة السعيدة يتطلب مجىء المعزى ؟ . إن الأصحاح الخامس من إنجيل متى يتطلب الأصحاحين الخامس عشر والسادس عشر من إنجيل يوحنا . ووصايا الأربعين يوماً ـ التى توسطت بين قيامة المسيح وحلول الروح القدس ـ تطلبت موهبة يوم الخمسين . وخاصيات الصفات المسيحية يجب أن تُحرق بعمودية النار .

لقد أُعطى ناموس المحبة الكامل على جبل القطوبيات هذا ، كما أُعطى ناموس البر وسط رعود جبل سيناء ، حتى إذا ما انعدم الرجاء من أنفسنا اندفعنا للايمان بالروح القـدس الذى يستطيع

وحده أن يعمل فينا ثمار الحياة المباركة . « وأما ثمر الروح فهـو محبة ، فرح ، سلام ، طـــول أناة ، لطف ، صلاح ، . . . ، وداعة ، . . . » (غل ٥ : ٢٢ و ٢٣) .

والرحيم هو وحده الذى يختبر كل مراحم الله . لاحظ بأن الرب ردَّ سبى أيوب بعد أن أشفق على أصحابه وصلى لأجلهم (أى ٤٢ : ١٠) . قال الرسول : « قد رأيتم عاقبة الرب ، لأن الرب كثير الرحمة ورؤوف » (يع ٥ : ١١) . إن خدمنا الآخرين أتى الله إلى خدمتنا ، وحل ملائكته حولنا بخدماتهم الرقيقة عاملين بنا ما قصدنا أن نفعله بالآخرين . « طوبى للذى ينظر إلى المسكين ، فى يوم الشر ينجيه الرب » (مز ٤١ : ١) .

وصف لنا الرب ، فى أحد أمثاله الرائعة ، ذلك العبد الذى أخذ بعنق زميله طالباً منه سداد الدين الذى عليه ، فخسر الرحمة التى سبق أن عامله بها سيده . « أفما كان ينبغى أنك أنت أيضاً ترحم العبد رفيقك . . . ؟ فسلمه إلى المعذبين » (مت ١٨ : ٣٣ و ٣٤) .

هذا لا يعنى أن الله يسحب رحمته من النفس التى سبق أن غفر لها ، لأن الله لا يندم . لكنه يعنى أن من لا يرحم لا يحق له

أن يطلب الرحمة . فإن كنت لا تغفر لا يُغفر لك . فى كل مرة تردد الصلاة الربانية وتقول « واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا » الأحرى بك أن تقول « ولا تغفر لى ذنوبى لأننى لم أغفر لمن أذنب إلىّ ، وإننى لا أتجاسر على أن أطلب منك أن تفعل بى ما لم أفعله بأخى الخاطىء » .

ثق بأنك فى الأيام القادمة سوف تحتاج إلى المغفرة ، ربما أكثر مما تفتكر ، لأنك لا تعرف ماذا يكون حالك فيما بعد . لكن رفضك عمل الرحمة سوف يبرز فى ذلك الوقت ويرفع الصوت عالياً ، ويتغلب على صوتك الذى تطلب به المغفرة .

ويحق للرحماء أن يتوقعوا الرحمة من إخوتهم . يجب أن يتوقع عديم الرحمة أن يعامل بعدم الرحمة . « بالكيل الذى به تكيلون يكال لكم » . إن كان المرء قاسياً فى انتقاداته ، حقوداً ومؤذياً ، سريع الاستياء من الإساءة ، غير وقور وغير رحيم فى كلامه ، لا يلين ولا يرق فى طلب التعويض عن الإساءة ، فسوف يأتى اليوم الذى يطلب فيه الرحمة من إخوته فيقابل بالرفض الغليظ . « وقال أدونى بازق : سبعون ملكاً مقطوعة أباهم أيديهم

وأرجلهم كانوا يلتقطون تحت مائدتى . كما فعلت كذلك جازانى الله » (قض ١ : ٧) .

ومن الناحية الأخرى ، إن اللطفاء والرقيقين فى أحكامهم ، الصابرين والطويلى الأناة ، المحبين للسلام ، السريعين فى الصفح عن المسيئين وتعويض التلف ، لن تعوزهم الرحمة ، لكنهم فى ساعات الشدة والخطر تقوم أعمال الرحمة التى سبق أن عملوها ونسوها وتتشفع عنهم ، وتقوم الرحمة نفسها التى سبق أن أظهروها للآخرين وتطيب خاطرهم وتبرد قلبهم . « طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون » .

صلاة

يا رب ، ما أعظم صلاحك نحوى أنا الذى لا أستحق أقل رحمة من مراحمك . هبنى أن أكون رقيقاً مع زملائى فى الخدمة ، وصفوحاً لهم ، كما كنت معى رقيقاً وصفوحاً . لكى تلين قلوبهم بالتالى ، ويتعلموا ناموس الرحمة وطول الأناة .

(٧)

الرؤيا المطوبة

« طوبى لأنقياء القلب لأنهم
يعاينون الله » (مت ٥ : ٨)

بين كل القطوبيات الثمانية لا يوجد ما يخلق فينا الإحساس بالعظمة أكثر من هذه . ولا يوجد مثلها ما يميز ديانة الرب يسوع المسيح . وفكرة نقاوة القلب تسمو عن كل كلمات هذا الحديث الرائع كسمو إحدى قمم جبال الألب المغطاة بالثلوج ، والتى لا يمكن الوصول إليها .

كان الرواقيون يعتقدون أن نقاوة السلوك والحياة هى علامة الرجولة الحقيقية . أما طهارة القلب فإنها تُعتبر صفة لا يمكن الوصول إليها . وهى ، وإن كانت الصفة المميزة لطبيعة المسيح ، لا يمكن أن تُعتبر صفة البشر الذين صوِّروا بالإثم ، وبالخطية حبلت بهم أمهاتهم (مز ٥١ : ٥) ، والذين طُبعوا بطابع الشر والنجاسة . أن يعرف المرء الخطية بقصد كراهيتها فقط ، وأن يكبح جماح شهواته الثائرة كفرس هائج ، ويحفظ ثيابه بيضاء

نقية لا عيب فيها ، ولا يسمح لأى دنس بأن يدنس نفسه ، ولا يسمح لأية صورة دنسة أن تدنس عينيه لحظة واحدة ، ويحب كل الرجال والنساء محبة طاهرة غير أنانية ـ هذا مثل أعلى لم يصل إليه البشر قبل أن يجىء الرب يسوع المسيح بهذه الكلمة المقتدرة التى قالها للابرص « أُريد ، فاطهر » (مت ٨ : ٣) ، وقبل أن يُجرى هذه المعجزة التى هى أولى معجزاته ، وبها أعطى علامة على مميزات حياته نحو خلاص من تـوغلوا فى الشهوات الدنسة ، وجعلهم جواهر فى تاجه . هكذا نرى أن الورقة البيضاء النقية مصنوعة من الخرق ، والماس النقى مستخرج من الفحم النباتى .

نقاوة القلب تؤكـد نقاوة الحياة والسلوك .

هذه العلاقة طالما تغاضى الناس عنها . ويحرص الكثيرون على اتباع نظام دقيق نحـو صحة الجسد ، مثل الطعام الصحى ، والتمارين الرياضية العنيفة ، ونظافة الجسد . وطالما رددوا القواعد القديمة لفلسفة الرواقيين ، وهى : لا تلمس ، لا تذق ، لا تمسك بيدك ، مع أنهم أدركوا ـ كما فعل الرسول فى القديم ـ أن هذه القواعد لها صورة التقوى ، والتواضع ، والقسوة على الجسد ،

لكنها لا تأثير لها نحو قمع الجسد .

نعم ، إن سر الطهارة أعمق من هذا . إن بدأت مع الإنسان الخارجى قد تفلح أو تفشل فى التأثير على الإنسان الداخلى . وإن بدأت مع الإنسان الداخلى حصلت على النتيجة المطلوبة سريعاً .

طهارة (نقاوة) القلب تعنى ضبط الخيال . علاوة على منطقة الحواس يوجد عالم الخيال . والقلب لا يمكن حفظه نقياً إلا إذا بذلنا أقصى جهد لضبط الخيال . يجب أن لا نسمح له بأن ينقلنا إلى عالم الأحلام الشهوانية الدنسة ، أو ينقل إلى النفس أية صورة تدنسها .

طهارة (نقاوة) القلب تعنى التدقيق فى العناية بالعواطف . يجب أن نحب . وعدم توفر المحبة يعنى عدم وجود الله فى حياتنا . إن كنا لا نحب فهذا معناه خسارة سر السعادة الداخلية. إن كنا لا نحب فهذا معناه حرماننا من تدريب أنبل قدراتنا ومواهبنا . إن كنا لا نحب فإننا نسىء إلى الطبيعة التى منحها لنا الله . وعواطفنا تشبه الجزء اللولبى الرفيع من النبات الذى يساعده على التعلق بسنادة ، فإنها قد تمتد فى اتجاهات خاطئة ، أو فى

اتجاهات سليمة لكن بوفرة تزيد عن الحد .

هكذا قد تقيد محبتنا ونتعلق بمن يجب أن لا نتعلق بهم ، أو قد نتهور مع من يجب أن لا نرتبط بهم أكثر من اللازم . لا شىء يؤذينا أكثر من الصداقة التى تحتكر كل تفكير وقوى من نحبهم ، مع استثناء الله . يجب أن نحب الله فى الآخرين ، ونحب الآخرين فى الله ، وذلك فقط عندما تسمح إرادة الله بذلك ، وبما يتفق مع مطالبه . كلما وجدت أن قلبك متجه بشدة نحو شخص آخر فاحرص على أن تبحث عن الاتجاه الذى يحملك إليه التيار ، وقف عند المكان الذى يمكنك فيه مقاومة التيار .

ونوايا النفس يجب أن تكون بسيطة . يجب أن نتجه نحو إتمام إرادة الله ، مهما كلفنا هذا ، وأن نسير فى طريق وصاياه ، مهما تطلب الأمر ، وأن نعيش فى الحدود التى وضعها لنا مهما كانت الاغراءات التى تطلب منا أن نتخطاها . يجب أن تكون العين بسيطة . ويجب أن تعتزم النفس أن تخضع لله خضوعاً كاملاً ، حتى وإن تطلب الأمر خسارة كل شىء . إن تقبعنا النحاسة إلى أن نصل إلى مصادرها فكثيراً ما وجدناها ناشئة

من عدم العزم على جعل طرق الله وإرادته هى الهدف الأول فى الحياة ، بحيث لا نسمح لأى شىء أن يتعارض معه ولو إلى لحظة.

واتجاه الإرادة أيضاً هام جداً . هذا هو مفتاح الموقف . فالإرادة هى الحارس على النفس والضمير يرجو ، ويلح فى الرجاء، مثل نبى الله أو كاهنه . والعواطف تقدم طلباتها العاطفية . والذاكرة تردد نتائج الاختبارات القديمة ، والتفكير يجلس على منصة القضاء ويعطى حكمه . أما الإرادة فإنها تتصرف ، ويحق لنا القول إنها تتحكم فى مصير الحياة ، فهى تحمل فى منطقتها المفتاح الذى يفتح ولا أحد يغلق ، ويغلق ولا أحد يفتح . الإرادة تشبه العجلة الأمامية للدراجة التى تتحكم فى اتجاه الدراجة ، وتشبه مدير الدفة فى السفينة . هى العنصر الأساسى فى الحياة الداخلية .

آه ، أيها القارىء العزيز ، ليتنى وليتك نختار الطهارة (نقاوة القلب) فوق كل شىء ، ونفضلها على كل شىء ، مستعدين دواماً لتسليم كل شىء إن كان هذا هو نصيبنا ، دون أن نستكثر أية خسارة ، أو نخاف من شدة انحدار أى جبل . ألا تعتقد بأن الله يقدر أن يرتب كل أمورنا ، ويقيم ما اعتزمنا إتمامه ؟ هل

يعقل أنه يضع فينا رغبات عالية جداً لكى نفشل فيها أو يهزأ بنا الناس ؟ يقيناً إنه لم يكن باطلاً أن يملى علينا الروح القدس هذه الصلاة : « طهر أفكار قلوبنا بعمل روحك القدوس ، لكى نخدمك خدمة كاملة ، ونستحق أن نعظم اسمك القدوس » .

وناموس طهارة (نقاء) القلب

معلن بكل وضوح

إن العطية العظمى التى للانجيل هى أن علم الناس بأن الطهارة ممكنة ، ممكنة لمن تألموا بسبب العادات الشريرة التى أدت بهم إلى الانحطاط الشنيع والنجاسة ، ممكنة لمن حاولوا باطلاً أن يحفظوا حياتهم الداخلية من أن تتلوث بأدناس العالم . ليت الجميع يتبعون الوصايا الإلهية ، وعندئذ يجدون أن حقيقة نقاوة القلب ليست خيالاً أو أضغاث أحلام ، بل إن الرب يسوع مستعد أن يعمل فى الحياة الداخلية ما عمله لجسد الأبرص . هو قادر أن يجعلنا نختبر سجية النفس التى تعرف الشر لكى نكرهه ، وتستقبح إيحاءات الشيطان التى تكتشف خبثها الذى يتوارى تحت ثوب يظهره بأنه ملاك نور . أذكروا كلمات الرسول بولس التى فيها

ذكر مؤمنى كولوسى بأن الله أنقذهم من سلطان الظلمة ونقلهم إلى ملكوت النور والمحبة ، ملكوت ابن محبته (كو ١ : ١٣) .

وما هو الشرط الأساسى لطهارة القلب هذه ؟ الإجابة على هذا تتضح من كلمات بطرس الرسول عندما تحدث عن عمل الله بواسطته بين الأمم . لقد قال : « الله ، العارف القلوب ، شهد لهم معطياً لهم الروح القدس كما لنا أيضاً ، ولم يميز بيننا وبينهم بشىء إذ طهر بالإيمان قلوبهم » (أع ١٥ : ٨ و ٩) .

وكيف يطهر الإيمان القلب ؟ هنالك طرق عديدة يتم بها هذا العمل المبارك .

إنه يأخذ النفس إلى الصليب ، ويأمرها بأن تتطلع إلى المخلص المصلوب ، ويسألها كيف تتجاسر - وهى ترى هذه الآلام المريرة التى تحملها لكى يبيد الخطية - بأن تفتح تلك الجروح ثانية ، وتزيد آلام المصلوب ! .

إنه يأخذ النفس إلى دم المسيح الكريم الذى يطهر من كل خطية . ولا يوجد ما يطهر الحياة الداخلية مثل المغفرة المؤسسة على ذبيحة الفادى . إن الراحة التى بها يطلب الخاطىء التائب المغفرة

لا يمكن أن تدفع إلى الخطية ، لكنها تبعث خوفاً مقدساً يجعله فى خوف مستمر من الخطية .

الإيمان له قوة عجيبة يسلم بها إلى المسيح كل إيحاءات الشرير . إذ يكون السهم الملتهب لا يزال فى الهواء ، وقبل أن يصل إلى النفس يلتقطه الإيمان ويضعه فى كنانته . وعندما تمتد اليد القذرة لتلتقط زهرة الإيمان الجميلة ، يتدخل الإيمان فجأة ، ويأتى برداء طهارة المسيح . وإذ إن الدرس الذى يعلمنا إياه الإيمان هو أن نقدم للمسيح نفسه كل تجربة ، وكل إيحاء شرير ، وكل التخيلات التى تطاردنا ، التى تكون لا تزال فى الهواء ، ولم تكن قد استقرت بعد فى نفوسنا .

والأفضل من الكل إن الإيمان يخصص لنا طهارة المسيح . فطهارته هذه يجب أن تملأ النفس بحرارتها الكاملة ونورها الكامل ، على شرط أن لا تكون هنالك أية نجاسة قابعة فى أى ركن . ولعل الأفضل أن نقول إن الإيمان يخصص لنا المسيح على أساس أنه هو طهارته (طهارة الإيمان) بدلاً من القول إنه يخصص لنا طهارة المسيح .

لقد اكتُشف أنه لا يوجد أى نوع من البكتريا فى الهواء يقدر أن يمنع نور الشمس . ويقيناً إنه لا يمكن أن يوجد أى نوع من النجاسة فى القلب الذى امتلأ بكليته من شخص المسيح، وذلك بعمل نعمة الروح القدس . مستحيل أن توجد الظلمة مع النور فى نفس الوقت . فإذا ما دخل النور تلاشى الظلام . يجب أن يطهر الروح القدس النفس فى البوتقة . وإذا ما تمت عملية تطهير النار هذه فى القلب ، واستمرت فيه ، أصبحت الطهارة طبيعية له ، كما أن التنفس طبيعى للانسان ، والأغانى طبيعية للطفل الفرحان .

أما المكافأة فهى تفوق العقل

« يعاينون الله » . كان التطلع إلى وجه الملك أمراً يطمع فيه كل رعاياه ، كما نرى فى تطويب ملكة سبأ لرجال سليمان وعبيده الواقفين دائماً أمامه يسمعون حكمته (١ مل ١٠ : ٨). وأبشالوم اعتبر أن عدم رؤيته لوجه أبيه الملك (داود) أعظم إهانة لحقت به (٢ صم ١٤ : ٣٢) .

لعل هذه هى الفكرة التى تنطوى عليها هذه التطويبة . فنقى

القلب هو الذى يستطيع الوقوف فى الدائرة الداخلية للملك الذى له العينان الأطهر من أن تنظرا الخطية . والذى يرتدى الملابس غير الملوثة هو الذى يستطيع الدخول ليقف أمام عرش ملك الملوك . كان يرمز إلى هذه الحقيقة عملية تطهير الجسم والملابس التى كانت تتم فى خيمة الاجتماع . والأمر باق إلى الأبد أنه بدون القداسة لا يستطيع أحد أن يرى الرب (عب ١٢ : ١٤) . فإن أردت ، أنت وأنا ، أن نسكن فى ستر العلى ، ونبقى تحت ظل جناحى القدير ، إن أردنا أن نسكن فى بيت الرب كل أيام حياتنا ، يجب أن نكون أنقياء القلب .

إن أنقياء القلب يعاينون الله . يعاينونه شخصياً . يرونه فى الطبيعة ، فى كل زهرة ، وشجرة ، وشلال مياه . يرونه فى كل حادثة ، وفى أعمال عنايته . يرونه فى الظروف التى تكشف عن خطواته . يرونه فى المحبة البشرية ، فى الأصوات الرقيقة ، فى تدليل الطفل الصغير ، فى أمانة المرأة الوفية . يرونه فى الكتاب المقدس الذى يشتعل كالعليقة التى كانت تشتعل فى البرية ، لأنه هو هناك فى الكتاب . وأجمل أشواقهم هو أن يروا وجهه بالبر ،

ويشبعوا إذا ما استيقظوا بشبهه (مز ١٧ : ١٥) .

جميل أن تقطهر عين النفس ، لكى تستطيع أن ترى ما عجز عن رؤيته الأنبياء والملوك هذه العين الروحية التى تحدث عنها الرسول عندما قال : « وأما الروحى فيحكم فى كل شىء ، وهو لا يُحكم فيه من أحد » (١ كو ٢ : ١٤) نحن نستطيع أن نرى الله ، حتى هنا ، وحتى الآن . ويا لفرط السرور عندما ينشق هذا الحجاب الكثيف ، الذى للجسد والضعف ، من فوق إلى أسفل ، ويُسمح لنا بالوقوف أمام العرش ، لأن ثياب النفس قد غُسلت فى دم الحمل وصارت بيضاء (رؤ ٧ : ١٤) .

صـــلاة

لم تكن فيك خطية يا مخلصى . كنت حمل الله الذى بلا لوم ولا عيب . طهرنى بنار طهارتك ، ودعنى أسير معك فى الثوب الذى بلا عيب ولا دنس .

(٨)

السكين المنقية

« طـــوبى لصانعى السلام لأنهم
أبناء الله يدعون » (مت ٥ : ٩)

هذا التطويب يبين حالة العالم ، كما تفعل فعلاً كل التطويبات. فمن صوت مميزات أولاد الله يمكن أن ندرك مميزات العالم الذى خرجوا منه .

نحن نعلم أننا من الله لأننا قد عرفنا شيئاً عن مسكنة الروح ، وعن الحزن المقدس ، والوداعة ، والجوع والعطش ، والرحمة ، والطهارة (النقاوة) . لكننا نعلم أيضاً أن العالم كله المحيط بنا هو المضاد مباشرة لكل هذه الصفات الجميلة . نحن نتعلم بأن نكون مساكين بالروح ، لكن العالم ملىء بالكبرياء . نحن نحزن ونذرف الدموع السخينة ، على خطيتنا وخطايا العالم ، أما العالم فيرتكب الخطية دون أن يبكى . نحن نعرف أن نحتمل الإهانة بالصبر ، ولو إلى حد محدود . أما العالم فإنه يستاء من الإهانة

بكبرياء . نحن نحس بجوع وتعطش للبر الأبدى ، الذى بدونه لن يشعر القلب بأى شبع ، أما الناس المحيطون بنا فإنهم يشبعون إذا ما شبعت شهواتهم الجسدية . نحن نعرف محبة الله التى تسكب فى قلوبنا الرحمة إزاء إساءات الناس إلينا ، أما أهل العالم فإنهم يمسكون أخاهم بالعنق ويقولون له « أوفنى ما لى عليك » (مت ١٨ : ٢٨) . نحن نعرف الطهارة ، ونهرب « من الفساد الذى فى العالم بالشهوة » (٢ بط ١ : ٤) ، بينما نرى أن العالم قد تسلط عليه الشرير .

إن الأهمية الكبيرة التى أظهرها مخلصنا نحو صانعى السلام تبين أن العالم المحيط بنا ملىء بهادمى السلام ، المحرومين من راحة الله وسلامه . أليس انعدام روح الأخوّة بين الناس راجع إلى أنهم فقدوا روح الأبوّة ؟ فمحبة الأب الرقيقة لأولاده ، وإدراك الأبناء لمحبة أبيهم ، هى الرابطة المتينة لدائرة البيت ، ثم المسكونة لكن طالما كان الناس قد فقدوا الإحساس بمحبة الله ، وبالتالى فقدوا المحبة التى يجب أن تنبعث من قلوبهم نحو الله ، فإنهم قد انغمسوا فى خطايا الطمع ، والشهوات الجسدية ، والحسد ، والغيرة ،

والبغضة ، والشك - هذه التى هى أساس حرمان العالم من السلام. لذلك يدعونا الله ، نحن أبناءه الصغار ، ويقول لنا : « يا أبنائى ، إن أمامى عملاً عظيماً لإتمامه فى العالم ، فكل المسكونة تتمتع بالسلام ، ما عدا هذه الأرض الصغيرة ، والجو المحيط بها ، الذى وضع الشيطان وجنوده كرسيه فيه . ولن أستريح إلا إذا تغلب سلامى على منازعات البشر وحروبهم ، وعلى مملكة الشيطان التى توعز بهذه . لذلك تعالوا ، فارسلكم لتنادوا بالسلام ، وعندئذ تتحقق النبوة : « ما أجمل على الجبال قدمى المبشر المخبر بالسلام» (إش ٥٢ : ٧) .

« يا أبنائى وبناتى ، ساعدونى لأعيد للناس السلام ، كونوا صانعى سلام وبهذا ترثون سعادة الله » .

والآن نحن نلاحظ : (أولاً) الصفات اللازمة لصانعى السلام . (ثانياً) الطريقة التى نقوم بها عمله . (ثالثاً) الأجر العظيم المنتظر .

(١) صفات صانعى السلام

هذا التطويب بلى ذاك الذى بين فيه مخلصنا سعادة أنقياء

القلب : « طوبى لأنقياء القلب ، لأنهم يعاينون الله » .

يعلمنا النظام الذى دُوِّنت به هذه التطويبات دروساً كثيرة جداً فكل تطويب يؤدى للآخر .

(أولاً) واضح أن نقاء القلب يجب أن يسبق صنع السلام . ولأن أنقياء القلب هم وحدهم الذين يقدرون أن يعاينوا الله ، ولأننا إذ نكون أنقياء القلب نقدر أن نعاين الله وهو خارج ليصنع السلام ، فإننا نقدر أن نتبع مثاله . وكما قال الرب يسوع المسيح عن نفسه : « لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل » ، فكل صلاح نفعله يكون منعكساً علينا مما نرى الله الآب يعمل (يو ٥ : ١٩) .

وعندما نزل الرب من عرشه فى السماء ، وجاء إلى عالمنا ، وتهللت الملائكة قائلين « المجد لله فى الأعالى ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة » ، فإنه وضع فى قلبه أن يعيد السلام إلى هذا العالم الذى مزقته الخطية ، وهكذا يحقق رغبة الآب نحو سلام الذين على الأرض . وعندما مات المسيح على الصليب كان هدفه أن يحقق رغبة قلب الآب نحو إيجاد السلام فى العالم .

إذن فمن بين الحجج الكثيرة التى بها نتحرك ، ونحرك

الآخرين ، لصنع السلام ، ربما تكون هذه أقواها ، وهى « ماذا يعمل أبى السماوى ، وماذا يريده منى ، وما هى رغبة قلبه نحو العالم الممزق ؟ وأسمى ما يمكننى عمله هو تحقيق رغبته » .

إذن فنقاء القلب ، الذى به يستطيع الإنسان أن يعاين الله ، هو الشرط الأساسى لصنع السلام . وإن كنا فى كل يوم ، قبل أن نبدأ مهامنا اليومية ، أنقياء القلب بحيث نستطيع أن نقف فى حضرة ملك الملوك ، لنتأكد من الاتجاه الذى يريد أن يوجهنا إليه ، وندرك القصد العظيم الذى فى يده ، فإننا ـ كأبناء للآب السماوى ، وكإخوة للمسيح ـ نُسر بما يسره ، ونتحمس لما وضع فى قلبه . يجب أن نخرج كل يوم سائلين : « يا ملك السلام ، أى اتجاه تريد أن توجهنى إليه ؟ نحن ـ كإخوتك الصغار ـ نريد أن نتبع خطواتك التى تركتها لنا . هنالك بيوت تريد أن تدخلها لتريحها من عوامل القلق وعدم الراحة . سوف نتبعك وندخلها . حيثما وُجدت قلوب خائفة ومرتعدة ، وتريد أن تقول لكل قلب : « اسكت ، ابكم » (مر ٤ : ٣٩) فأرسلنى إليها . حيثما وُجدت خدمات للشفاء ومنح الراحة للبشر فأرسلنى إليها » .

إذا نظرنا لأنفسنا فقط فإنه لا رجاء لأى واحد فينا ـ بما فينا من ضعف ومصادر ضعيفة للقوة ـ لإتمام هذا العمل العظيم وهو صنع السلام فى العالم . لكن قوتنا تتضاعف جداً عندما ننظر إلى الله ، ونحيا فى شركة كاملة مع المسيح ونفتح كل كياننا لعمل الروح القدس ، حمامة السلام ، وعندئذ نستطيع أن نتعاون مع الله ، ونقدم على الأرض ما يقصد أن يعمله فيها . « طوبى لأنقياء القلب ، لأنهم يعاينون الله » . « طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يُدعون » . أنظر كيف ترتبط كل من هاتين الوصيتين إحداهما بالأخرى .

(ثانياً) يجب أن نكون مستعدين للتضحية . لقد صنع الله السلام بالدم . هذه الفكرة التى قدمها إلينا العهد الجديد عجيبة جداً . عندما صار كل عالمنا ، وكل الجنس البشرى ، فى عداوة مع الله كان عجيباً جداً أنه بذل كل ما يمكن للقضاء على سبب العداوة ، رغم ما كلفه ذلك من تضحية كبيرة . وكان الثمن الذى دفعه هو الدم . لا يمكن للعقل أن يدرك معنى إتمام السلام بدم الصليب . نحن نعلم أن الدم هو النفس أو الحياة ،

وأنه عندما سُفك دم حمل الله على الصليب ، فكان معنى هذا كأن حياة ابن الله قد سُكبت . لقد كان هو ذبيحة الخطية ، وصار هو آدم الأخير الذى يعطى البشر حياة . هذه أفكار عميقة .

والذى نريد أن نؤكده هو أن الله عندما صنع السلام كان ذلك مؤسساً على البر ، وقد تمت مطالب البر كان الثمن الذى دُفع هو الآلام المريرة ، التى كان يرمز إليها الدم المسفوك . كان ملكى صادق أولاً هو ملك البر قبل أن يكون هو كاهن السلام . إن كان البر يعنى إيفاء مطالب الناموس الذى كُسر ، تلك المطالب التى عجز الإنسان عن أن يوفيها ، فإن ثمن وضع أساسات البر ، الذى يُبنى عليه هيكل السلام ، كان يجب أن لا يقل عن سفك الدم . ونحن إن أردنا أن نصنع السلام مع الناس فيجب أن تكون التضحية على أنفسنا ثقيلة جداً .

إن كانت هنالك خصومة بيننا وبين الآخرين ، كما كانت هنالك خصومة بيننا وبين الله ، فيتحتم علينا أن نزيل معطلات السلام التى بيننا وبينهم ، ولو أدى ذلك إلى آلام الدموع . قد يتطلب منا الأمر أن نضحى بشىء لصنع السلام ولاستدامته .

قد يتطلب منا أن نضحى بكبريائنا ، وسمعتنا ، والاحتفاظ بحقوقنا المزعومة ، وراحتنا ، وذلك إن أردنا إرضاء المسيء وإعادة العلاقات التي قُطعت . كان سفراء السلام في كل العالم يضحون حتى بدمائهم في سعيهم لصنع السلام ، بما يتفق مع مطالب البر . وفي أغلب الحالات أمكنهم أن يوفّوا هذه المطالب في سبيل صنع السلام .

(ثالثاً) يجب أن نحمل دواماً في داخلنا سلام الله . الله هو مركز السلام ، وهو « إلـه السلام » ، ومن طبيعته انتشرت ولا زالت تنتشر دوائر السلام في كل العالم . لقد كانت العداوة قائمة بيننا وبينه ، لكنه جذبنا إليه ، وكأبناء له امتلأنا من سلامه. « وليملك في قلوبكم سلام الله » (كو ٣ : ١٥) . لن نستطيع أن نصنع السلام في العالم إلا إذا تعلمنا نحن أنفسنا سر السلام . فلندع الرب يسوع المسيح ينطق بكلمته لنا « سلام لكم » . لندعه يرينا يديه وجنبه . لندعه ينفخ في وجوهنا روح السلام ويقول « اقبلوا الروح القدس ». لندع هذا السلام يقف حارساً على أبواب قلوبنا. لنحرص على أن لا ندع القلق والهموم والانزعاجات تتسرب

إلى القلب . وكلما دخلت فلنعاملها كما عامل نحميا الصوريين ، وأبقاهم خارج أبواب أورشليم لأنه كان السبت (نح ١٣ : ١٦-١٩).

لا تدع مطالب العالم تتغلب عليك فتنقض يوم الرب . عش في سلام . الأفضل لك أن تتحمل الظلم من أن تسمح بنقض السلام بسببك . « اتبعوا السلام مع الجميع » (عب ٢ : ١٤) . احمل في قلبك دواماً الروح الوديع الهادىء ، وليكن لك الوجه البشوش المبتسم . لا تسمح بأن تكون في صوتك لهجة ثائرة . لتكن كل تحركاتك متوافقة مع سلام الله الكامل . سر في العالم بخطوات مقتدة هادئة ، ناشراً جو سلام الله . وعندما يحين وقت الليل عد إلى حضن أبيك السماوي ، بعد أن تكون قد أتممت كل شيء ، بتعرفاتك ، ونظراتك ، وكلماتك ، وسلوكك ، لكي تبعث السلام لهذا العالم المضطرب . عد إلى إلـه السلام ، واستودع نفسك المتعبة لمريح المتعبين والثقيلي الأحمال ، وحدثه عن انزعاجك الشخصي وانزعاج الآخرين . إحن رأسك على صدره ، واسترح هناك ، فتعطى السلام من إلـه السلام ، ويعينك على أن تقوم في

الغد بمهمة مماثلة . وبهذا تظلل على أحزان ومتاعب هذه الأرض بسلام السماء .

(٢) الطريقة التى بها نتمم عمله

هنالك ثلاث أو أربع طرق لإتمام هذه الخدمة المباركة :

(أولاً) إزاء خصومنا ، وأعدائنا الذين يسعون لإيذائنا . لا تفقد سلامك معهم ، بل اتخذ كل ما يمكن عمله ، بما يتفق مع مطالب العدل والكرامة ، حتى ولو كان فى ذلك تضحية كبيرة ، وذلك لإزالة أسباب الخصومة . أزل من الطريق كل معطلات السلام على قدر ما تستطيع . خير لك أن تتحمل الإساءة من أن تسمح لسوء التفاهم بأن يهدم العلاقات بينك وبين أخيك . كان الرسول بولس واضحاً جداً فى تحذيره من التجاء الإخوة إلى المحاكم ، وشدد على تجنب المحاكم حتى ولو أدى ذلك إلى ظلم المؤمنين .

أما بخصوص علاقاتنا مع الآخرين فقد يكون خيراً لنا ـ بعد تفكير دقيق ـ أن نتحمل الظلم من أن ننتقم لأنفسنا . أما السبب الوحيد الذى يبررنا فى نقض أواصر السلام باستخدام القوة البدنية

أو الالتجاء إلى المحاكم فهو عندما يستخدم الظالم طريقة عنيفة ضد المساكين والذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم . وفى الحالات الأخرى ، لما يكون هنالك سوء تفاهم ، فاذهب إلى خصمك ، وحدثه عن خطئه بينك وبينه وحدكما ، وحاول إزالة سوء التفاهم بأية تضحية .

(ثانياً) يجب علينا ، بدون انقطاع ، أن نصب زيتاً على المياه الفائرة . لنتجنب إثارة النزاع دون أن نعطى المجال للشكوك ، بل لنخفف المشاجرات ونفسر كل ما يثير الخصام تفسيراً حسناً . كثيراً ما نجح صانع السلام فى تهدئة الأعصاب الثائرة بأن ينظر نظرة جميلة لكل ما يعكر صفو النفوس . وكثيراً ما ننجح فى التوسط بين طرفين متنازعين عندما يكون لنا القلب النقى ، والعين البسيطة ، والحكم غير المتحيز .

(ثالثاً) يجب أن نسعى لتقديم المشورات التى تؤدى إلى السلام . عندما نلجأ إلى الوسائل العالمية فكثيراً ما كان تقدم السلام بين البشر بطيئاً .

لقد مر أكثر من ألف وتسعمائة سنة منذ أنشدت الملائكة

أنشودة السلام وقت ولادة المسيح ، ومع ذلك لايزال السلام يبدو كأنه قد هجر العالم . تطلع إلى الدول ـ الكبيرة والصغيرة ـ وإلى حركة التسلح فيها ، تجد أنه لا أثر للسلام بينها . إقرأ الصحف اليومية تجد ما يفزعك . ألق نظرة على المحاكم تجد العجب . أنظر إلى الكنائس التى تحمل اسم المسيح ، وتأمل فى الخصومات والحسد والأحقاد فى كل مكان . هنالك خدمة شاقة لصانعى السلام للقيام بها فى كل مكان ، وكثيراً ما ملأ اليأس قلوبهم . وإن حكمنا بحسب مقاييسنا وجدنا أنه لا يزال الوقت طويلاً لكى يهل علينا الفجر بنوره . الأسلحة الهدامة تهدد ، ومشورات السلام بطيئة جداً . لكن لابد أن يشرق الفجر . وفى نفس الوقت إن كل مجهودات السلام العالمية ، وكل الجهود التى تُبذل لكى تُطبع السيوف سككاً والرماح مناجل ، تبشر بالخير ، سيما عندما نلجأ نحن إلى ملك السلام .

(رابعاً) يجب أن نحث الناس لكى يصطلحوا مع الله .

عندما يكون القلب مستقيماً مع الله فإنه يكون مستقيماً من جميع النواحى ومع جميع الناس . وعندما يكون منحرفاً عن الله يكون

منحرفاً عن جميع الناس . فالشر يفضح نفسه . فالدم الفاسد فى الداخل يبعث الدمامل والقروح فى الخارج . والقلب المتعب يبعث التعب فى كل مكان . ورسالتنا الواحدة للانسان هى : الله فى سلام معك ، فكن أنت فى سلام معه . هو مصطلح معك ، فاصطلح أنت معه . والبنوية تخلق الأخوّة .

كل جهد فى هذا السبيل لا يضيع هباء ، وكل كلمة لا تسقط على الأرض ، كل مسعى لصنع السلام لا يترك صانع السلام فاشلاً . إما أن تشبع وتستريح إذ ترى عملك قد نجح أو يرتد إليك سلام الله كما رجعت حمامة نوح إليه . « يرجع سلامكم إليكم » (مت ١٠ : ١٣) .

(٣) أجرنا

« أبناء الله تُدعون » . والتشديد هنا على كلمة « تُدعون » . نحن فى البداية أبناء ، وإلا فلا نقدر الدخول إلى الآب إن لم نكن هكذا . لكننا نُدعى أبناء الله . كما قيل عن المسيح إنه « تعين ابن الله بقوة بالقيامة من الأموات » (رو ١ : ٤) . لقد كان ابناً من قبل ، لكنه أُعلن أنه ابن الله فى ذلك اليوم .

هكذا نحن عندما نخرج بين الناس حاملين رسالة السلام فى قلوبنا، ونسكبها للناس ، فإنهم يقولون : هذا الإنسان ابن الله . الناس لا يصدقون كلام هذا الإنسان ، ولا يعترفون بمهنة ذاك الإنسان، لكنهم يصدقون سلوك الإنسان الهادىء الذى يحاول أن يصنع السلام ويديم السلام . إنه من اليسير الاعتراف بهذه الفضيلة نحو صنع السلام لأن العالم لا يعرف إلا القليل عن السلام . فهو يضىء وسط جو مشحون بالسحب القاتمة . عندما تحدث المسيح عن سلامه قال عنه . « ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا » (يو ١٤ : ٢٧) .

لا يوجد سلام بعيداً عن المسيح . وحالما يملأ السلام قلب المؤمن ، وينير حياته ، ويضىء فى كل حركاته ، فهذا يصبح أقوى دليل على أن المؤمنين يملكون ما لا يستطيع العالم أن يعطيه أو حتى يقلده . أنهم يُدعون أبناء الله .

سوف يأتى الوقت ، ولا يمكن أن يكون بعيداً ، حين يجتمع كل بنى الله وبناته فى بيت الآب ، ويطأون ديار قصره . فلنحاول بأن نتصور أن « القليل » الذى قال عنه « بعد قليل ترونني » (يو ١٦ : ١٦ - ١٩) سوف ينتهى سريعاً ، ويأتى

ربنا مع كل قديسيه إلى عشاء عرسه . تخيل العدد الوفير ممن يتبعونه إذ يمرون . أولاً المساكين بالروح ، ثم الودعاء ، والحزانى ، والجياع والعطاش إلى البر . هنا الرحماء ، وهناك أنقياء القلب ، وصانعو السلام . وإذ يجتاز هؤلاء الأخيرون لاحظ كيف يصرخ المتفرجون المباركون : « هؤلاء هم بنو الله ، واسم أبيهم مكتوب على جباههم » (رؤ ١٤ : ١) .

ليس شىء فى المسكونة كلها يشبه التمثل بالله مثل السعى لصنع السلام ، ليس بالتظاهر ، بل بالقضاء على العوامل التى تبعث المنازعات والخصومات فى العالم .

صلاة

يا إلـه السلام ، هبنى سلامك الذى لا يُعبَّر عنه ، لكى أنمو فى السلام بقوة الروح القدس .

(٩)

شهداء وأنبياء

« طوبى للمطرودين من أجل البر لأن
لهم ملكوت السماوات » (مت ٥ : ١٠ ـ ١٢)

هذه نهاية التطويبات الثمانية ، لكننا لا ندرى لماذا لم يكتف ربنا بالتطويبات السبعة ، فإن الثامنة تختلف اختلافاً كلياً عما سبقها . السابقة تتصل بصفات المرء ، وأما هذه فبحالته . السابقة تتصل بصفة النفس الداخلية ، وهذه تتصل بعلاقاتها الخارجية . التطويبات السابقة ـ على قدر ما نفهم ـ يمكن أن تنمو فى الروح بمعزل عن العالم المحيط بها ، أما هذه فإنها تبين بأن فكرة الرب عن كنيسته إنها يجب أن تكون بصفة مستمرة وسط العالم . ليست هى من العالم ، بل فيه ، ولذلك فهى دواماً تصطدم بشره ، وفى عداء مستمر مع هذا الشر .

هذه التطويبات تتحدث عن حياة مخلصنا الشخصية ، وهى فى الواقع رواية حياته فى قلب المؤمن ، خطوة فخطوة . لأننا نعلم أن ربنا يسوع المسيح كان مسكيناً بالروح ، أخلى نفسه ، حزن وبكى

من أجل خطية الإنسان ، كان وديعاً ، عطش وجاع ، كان رحيماً ونقى القلب ، وأنه جاء ليضع سلاماً . كل هذه الصفات فى حياة مخلصنا أتت به إلى الصليب ، جعلته يصطدم مع شر العالم ، وأتت به إلى الجلجثة . وهكذا تعطينا التطويبات فكرة عن حياة مخلصنا منذ أخلى نفسه عند التجسد إلى أن وضع حياته من أجل البشر .

وهى أيضاً تنطبق على كل واحد منا. فنحن نبدأ بأن نكون مساكين بالروح ، ومنكسرى القلب ، وودعاء . نحن نتقدم ، خطوة فخطوة ، فى ازدياد معرفة الله ، ومعرفة حقه . وإذ نفعل هذا نحن نزداد اقتراباً من قمة الصليب . وبقدر ما نتمثل بالمسيح فى هذه الصفات الحلوة فإننا نتمثل به أيضاً فى آلامنا وأحزاننا حتى الموت .

كيف تنبأ المسيح بوضوح عن تأثير هذه الصفات على العالم ! وكأنه قد قال : « من المستحيل أن تكونوا هكذا دون أن يلحقكم قدر كبير جداً من بغضة الناس لكم ، لكنكم وسط هذا كله يمكنكم أن تحتفظوا بروح الوداعة والهدوء والراحة التى

وعدتكم بها . لا يمكن أنكم تخسرون البركات التى سبق أن وعدت بها الرحماء والودعاء وأنقياء القلب عندما تلحقكم الأخطار ، أو حتى عندما تُصلبون ، فالحياة المباركة لا تتوقف مطلقاً على الظروف ، فإنها تتأصل فى النفس عندما يكون كل شىء فى الخارج مضطرباً » .

قال أحد الشهداء عندما كانوا يقيدون قدميه : « يخيل إلىّ أنهم ينثرون الورود أمامى » . وقال شهيد آخر فى ساعة احتضاره : « فرحت بالقائلين لى إلى بيت الرب نذهب » . وقيل عن آخر إنه عندما جس الطبيب نبضه فى ساعة الاحتضار لم يحس بأى اضطراب ، بل كان النبض عادياً كأنه فى ملء الصحة . وطالما كانت هذه التطويبات ، وما اقترنت بها من صفات ، قد جعلت المسيح وكل أتباعه يصطدمون مع العالم فقد كان جميلاً أن يقول : « إنكم فى وسط كل هذه سعداء فافرحوا وتهللوا » (لو ٦ : ٢٣) . وكلما ازددنا تفكيراً فى هذا ازددنا تأكيداً بأن كل الذين ماتوا من أجل الإيمان أُعطيت لهم نعمة خاصة ، هى التى عظمت انتصارهم ، وأنها سوف تُعطى لمن يُحسبون مستحقين من البشر أن يتألموا من أجل المسيح .

ولنتأمل الآن : (١) لماذا نحن نضطهد . (٢) كيفية الاضطهاد . (٣) السعادة الممكنة وسط كل هذه الاضطهادات .

(١) أسباب الاضطهاد

هذه الأسباب مزدوجة . (أولاً) فنحن نُضطهد « من أجل البر ، و (ثانياً) المسيح يقول « ويضطهدونكم من أجلى » . واضح أن البشر يجب أن يشعروا بأنه يدافع عن البر ، وأنه هو عبد الله البار (إش ٥٣ : ١١) ، وأن البر ليس وهماً أو خيالاً ، فالمسيح جسّمه . هذا امتياز عظيم ، ويهون علينا أن نتألم من أجله . جميل جداً أن نتألم من أجل غرض معين : من أجل العدل ، أو الحق ، أو البر . والأفضل جداً أن نتألم من أجل المسيح . يجب أن نؤمن بأن البر هو المسيح ، وأن المؤمنين عندما يتألمون من أجل البر فإنهم فى الواقع يتألمون من أجل المسيح الذى هو رئيس البر وملك الحق . وحيثما وُجد أى حق فى العالم يتألم الناس من أجله فإنهم إنما يتألمون من أجل المسيح . وكم هو عجيب أن الرب يسوع فى بداية خدمته ، إذ وقف على جبل التطويبات ، وسط جماعة من الفريسيين ، بيّن أنه هو البر ، إذ قال : « من أجلى » .

ولماذا يبغضنا العالم ويضطهدنا من أجل المسيح ؟ لثلاثة أسباب:

(أولاً) لأنه بقدر ما تزداد صلتنا بالمسيح تزداد دينونتنا للعالم ، فالأشرار لا يبغضون شيئاً أكثر من أن يسطع نور الطهارة الكاملة على أعمال قلوبهم وحياتهم . إن موقف الأشرار إزاء المسيح كموقف العين الرمداء أمام الشمس وقت الظهر . ولهذا فإننا بقدر ما نحيا فى قوة يسوع المسيح ، وبقدر ما يكون تأثير أخلاقنا على الآخرين قوياً ، بقدر ذلك يتألمون من شدة أشعة نورنا ، وينفرون منه ، لأنهم يتألمون منه ، فيلتفتون بطبيعة الحال إلى من سبَّب لهم تلك الآلام .

(ثانياً) وبقدر ما تزداد صلتنا بالمسيح بقدر ما نسىء إلى كبرياء الرجال والنساء المحيطين بنا ، الذين يشتهون أن يوجه إليهم إعجاب الناس بنا ، المنبعث من القوى الحقيقية ، والذى لا يقدرون أن يحصلوا عليه لعدم استطاعتهم دفع الثمن الذى يتطلبه . وعندئذ تبدأ فى الحال الغيرة والحسد والكبرياء أن تعمل عملها . أذكر كيف أن أرستيدس (١) كان مكروهاً لأن الناس كانوا

(١) كاتب يونانى اشتهر فى القرن الثانى قبل الميلاد

دواماً يلقبونه « البار » ، وحسده الأشرار بسبب محبة مواطنيه له . هكذا يحسد الأشرار دواماً كل من يحبون المسيح .

(ثالثاً) وروح المسيح الذى فى أى واحد منا يدفعنا باستمرار لتعنيف الأشرار . والرب يسوع المسيح لم يناد قط بأن يسير بنوه فى العالم بعيون مغمضة ، وبروح عدم المبالاة ، أو يتخذوا موقفاً سلبياً . لكنه يتوقع أن تقف كنيسته موقفاً إيجابياً ، حتى وإن كان تأثيرها لاذعاً . لكن عندما تتعرض السفينة للخطر ، عندما تحدث أخطار جسيمة ، فإننا بطبيعة الحال نثور للدفاع عن الذين تلحقهم الخسائر . إن النور الفاحص الذى يكشف خبث الضمير السقيم ، والشعور المستديم بأن المؤمن يتحلى بصفات لا يمكن أن يقلدها الأشرار ، تلك التى تنال الإعجاب الذى لا يمكنهم الحصول عليه ، والخوف من أن تنهار المراكز العالمية والثروات العالمية بسبب تقدُّم وازدهار المؤمنين محبى المسيح ـ هذه كلها تجعل الناس يبغضوننا .

ومع ذلك إن أصل البغضة يرجع إلى ما هو أعمق من كل هذا . فيبدو أن هنالك بغضة خبيثة فى الشر ضد الخير والصلاح ، الأمر الذى لا يمكن نسبته لأى من هذا الأسباب ، والذى يجب

أن ينسب للحرب الشنيعة الأزلية الأبدية والبغضة الكائنتين بين الشيطان وكل أعوانه وبين الرب يسوع المسيح وكل جنود السماء. هنالك حرب عنيفة فى المسكونة ، ونيران مشتعلة لا تراها عيوننا ، ويجب أن نتأكد بأن علاماتها سوف تظهر حالما نرى على الأرض شيئاً من طهارة وجمال يسوع المسيح ربنا . هذه هى أسباب الاضطهاد .

(٢) الأشكال التى يتخذها هذا الاضطهاد

لقد لخصها ربنا فى ثلاثة طرق : (أولاً) فى الكلام . (ثانياً) فى التصرفات . (ثالثاً) فى الاتهام بالشر . فبالكلام إذا عيرنا الناس، والتصرفات إذا اضطهدونا ، وفى الاتهام بالشر إذا «قالوا علينا كل كلمة شريرة كاذبين من أجله ». ولا داعى لإطالة الحديث فى هذه الناحية ،فنحن نعرف بعضاً من خبث الحية. وكلنا تألمنا كثيراً أو قليلاً ، من الكلمات القاسية . ونحن نعرف معنى الشائعات والاتهامات التى تنتقل من فم إلى فم ، ونحن نقابلها بعدم المبالاة. وما أكثر الذين تألموا ، والذين لا يزالون يتألمون، بسبب الكلام وبسبب التصرفات . تأمل فى الثمانمائة شخص من

مذهب الأصحاب (كويكرز [١]) وفى الغرامة المالية التى قُدرت بمليون جنيه التى ألزمهم بدفعها الملك شارل الثانى ، من أجل تمسكهم بمذهبهم. وتأمل فى الأعداد التى لا تُحصى ممن اضطهدوا من أجل المسيح .

أما إن قالوا علينا كل كلمة شريرة من أجل المسيح كاذبين فلست أظن أن أى واحد منا يستاء من هذا . نحن نعرف أنفسنا جيداً جداً . وكلما ازددنا اتصالاً بالمسيح ازدادت اتهامات الناس لنا . سوف يطعنون فى البواعث التى تدفعنا للخير ، ويصفون تصرفاتنا بغير حقيقتها ، ويخلقون حولنا روايات فاسدة . وكلما ازددنا اقتراباً من المسيح ازدادت اتهاماتهم لنا ، وإن كانوا قد قالوا عن المسيح بأنه بعلزبول فليس غريباً إن أطلقوا علينا نفس اللقب . وأعتقد أننا يجب أن لا نبالى مطلقاً بهذه الاتهامات . إن الأوقات التى يجب أن نبالى فيها بالدفاع عن أخلاقنا وصفاتنا هى عندما يكون الطعن فيها مضراً لقضية المسيح . أما فيما يختص

(١) شيعة دينية تعرف باسم جمعية الأصدقاء أسسها جورج فوكس سنة ١٦٥٠ م ، وتتميز اجتماعاتها عادة بفترات صمت طويلة .

بنـــا شخصياً فيجب أن نكون مستعدين لأى طعن ، راضين بأن نحسب « كأقذار العالم ووسخ كل شيء » (١ كو ٤ : ١٣).

وعندما تنتشر هذه الشائعات والاتهامات فعلينا أن نلجأ فى الحال لمخلصنا ، ونخبره بأننا مستعدون أن نتألم معه ومن أجله . ولنسأله أن يدافع عنا ، وأن يُظهر حقنا إن أراد ، وإلا فليعطنا نعمة الصبر واحتمال الآلام . قد نتألم جداً إذا ما قيل عنا أقل شيء ، وقد نغضب ونثور إن أساء الناس فهمنا أو أساءوا إلينا. وقد نتحمس للكتابة فى الصحف أو للاخوة للدفاع عن أنفسنا. هذا خطأ شنيع . فإننا يجب أن نكتفى بترك الاتهامات بين يدى الله ، ونطلب منه أن يُظهر حقنا ، وفى نفس الوقت نؤدى عملنا بهدوء يوماً فيوماً ، على أساس أنه مطلع علينا ، ونصلى من أجل المسيئين إلينا . هذه هى الروح المسيحية الحقة .

(٣) الطوبى

ولماذا نطوّب ، وكيف تأتى السعادة ؟ لقد قال لنا الرب إن الذين يُطردون من أجل البر يُعطى لهم ملكوت السماوات . وهذا هو نفس الوعد الذى بدأت به التطويبات : « طوبى للمساكين

بالروح ، لأن لهم ملكوت السموات » . وكأننا قد رجعنا إلى حيث ابتدأنا . لكن ليس هذا هو الحال . صحيح إن المساكين بالروح يُعطون الملكوت ، والذين يُطردون من أجل البر يُعطون الملكوت . لكن يجب أن نذكر أنه كما أن درجات السلم الحلزونى ترجع إلى حيث ابتدأت ، لكن على مستوى أعلى ، هكذا نحن نرجع إلى الملكوت لكن على مستوى أعلى مما كنا عليه ونحن مساكين بالروح . وربما يتكرر هذا الرجوع دواماً ، لكن على مستوى أعلى فى كل مرة .

قد نبدأ اليوم بمسكنة الروح ، ونصعد على السلم الحلزونى نحو هذه التطويبة الأخيرة ، وإذ نبدأ ثانية من هذه نصعد إلى سلسلة درجات أعلى . سوف لا نكف عن الحزن ، لكننا سوف نحزن من أجل أسباب أسمى . سوف لا نكف عن تعلم درس الوداعة ، لكنها سوف تكون وداعة أعمق . سوف نطلب الطهارة (نقاوة القلب) دواماً ، لكن سوف تكون لنا فكرة أعمق عن الطهارة . وكلما ازداد إدراكنا لهذه الأمور اشتد الاضطهاد علينا . وكلما عدنا إلى حيث بدأنا ازداد ارتفاعاً ذلك

المستوى الذى نبدأ منه مرة أخرى . إننا نُضطهد من أجل البر ، لكننا ننال الملكوت .

فى الآية العاشرة تحدث الرب بصيغة الماضى ، أما فى الآية الحادية عشرة فتكلم بصيغة الحاضر . « طوبى لمن طُردوا من أجل البر ، لأن لهم ملكوت السماوات » . كأنه فى تلك اللحظة رأى كل الشهود الروحيين الذين شهدوا لحق الله ، والذين تألموا منذ وقت هابيل ، وقال : « هأنذا أراهم وقد دخلوا الملكوت ، وجلسوا على العروش » . بعد ذلك التفت إلى تلاميذه وقال : « طوبى لكم عندما يعيركم الناس ، لأن أجركم عظيم فى السماوات » .

عندما نُضطهد فى المستقبل قد نجد معونة كبيرة إن تطلعنا إلى المستقبل ـ كما فعل الرب يسوع المسيح ـ وأدركنا عظمة الأجر الذى سوف يُمنح لنا . لأن كل أجر ننناله فى السماء سوف يحمل معه فرصة أعظم لبركة الأجيال القادمة . وهذا هو السبب الذى لأجله تحدث الرب عن العروش . إن اضطهادات هذا العالم تسعدنا حقاً إن كانت تزيدنا استعداداً للخدمة .

لاحظ كيف وضع الرب يسوع الشهداء فى نفس مستوى

الأنبياء . فقد قال : « فإنهم هكذا طردوا الأنبياء » . هذا تفكير عميق ، لكنه صادق وأمين . فالنبى وقف بين أقرانه يشهد للابدى غير المنظور ، والشهيد يفعل نفس الشىء . إن أكوام الحطب التى أُحرق فوقها شهداء المسيح رفعت أنفس البشر مثلما فعلت تماماً كلمات الأنبياء ، ورفعت نفوس الأجيال التالية . الأنبياء شهدوا للابدى غير المنظور بكلماتهم ، والشهداء يفعلون نفس الشىء بآلامهم . إن كنا نرتضى بأن نتألم من أجل المسيح يوماً فيوماً ، فى المصنع أو فى البيت فإننا نكشف الحجاب عن غير المنظور الأبدى . وبتجاربنا المحرقة يرى الناس لمحة عن إيمان وبطولة وقوة المسيحية ، ونشهد لحقيقة الأشياء غير المنظورة ، وذلك بالرؤى العادية ، التى تشددنا لاحتمال الآلام .

صلاة

يا إلهى ، إليك أهرب لكى تخبئنى من شر وخبث الناس ، الذين يضطهدوننى كل يوم ويضايقوننى ، « ويحرّفون كلامى » (مز ٥٦ : ٥) . أتوسل إليك أن « تخبئنى فى مظلتك » (مز ٢٧ : ٥) ، « من مخاصمة الألسن » (مز ٣١ : ٢٠) .

(١٠)

« يدخلون من الأبواب »

« طوبى للذين غسلوا ثيابهم لكى
يكون لهم سلطان على شجرة الحياة
ويدخلوا من الأبواب إلى المدينة »
(رؤ ٢٢ : ١٤)

بحق قيل إن هذه هى آخر تطويبة قالها المسيح الذى صعد إلى السماوات . كان ربنا مجيداً لأنه بعد أن بين لنا طريق التطويبات من فوق الجبل الذى عليه علم تلاميذه ، أكمل الحلقة بهذه التطويبة الرائعة ـ تاج كل التطويبات ـ التى تتضمن آراء لم يكن ممكناً فهمها قبل حمل الصليب ، وقبل سفك الدم .

غريب أن نلاحظ الفرق بين الترجمتين فى الفقرة الأولى من الآية . فالترجمات الأكثر تجعلها هكذا : « طوبى للذين غسلوا ثيابهم »، لأنه من المستحيل أن يكون لهم سلطان على شجرة الحياة بدون نعمته التى اشترتنا بالدم ، والآن تنتظر لكى تغيثنا بروحه القدوس . لكن الترجمة الأخرى تقول : « طوبى للذين

يصنعون وصاياه »، وهذه أقرب إلى المعنى وتتمشى مع روح العهد القديم الذى كان يشدد على ضرورة إطاعة وصايا الله . فدخول مدينة الله يتوقف أولاً على الطاعة ، خلافاً لما قيل فى الرسائل عن أننا مدينون لنعمة الله الغنية فى كل شىء . وطبيعى أن مثل هذه الطاعة تُعزى لعمل نعمة الله . وطبيعى أيضاً أن عمل الله فى النفس لا يمكن أن يُشهد له ويتبين إلا بتأثيره فى حياتنا الخارجية. لكن يجب أن نشعر بأنه من الأنسب أن نشدد على الفداء الذى اشتراه لنا المسيح بدم الصليب ، إذ يبدو أنه يجب الإشارة إلى ما عمله المسيح من أجلنا فوق الصليب ، الأمر الذى يختلف عما يُطلب منا عمله من أجله .

(١) تناسق حياة مخلصنا

قال الملاكان اللذان وقفا بجانب حفنة التلاميذ الذين وقفوا على جبل الصعود : « إن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموه » (أع ١ : ١١) . واضح أن التلاميذ لم تكن لديهم فكرة أن الأجيال الطويلة ـ طالت أم قصرت ـ يمكن أن تغير أية ناحية من صفاته ، أو أية ناحية من نواحى

استعداده لإغاثة بنى البشر . ومهما طالت الفترة بين ارتفاعه إلى السماء ومجيئه الثانى ، ومهما كانت الأحداث التى تمت فى تلك الفترة جوهرية ، ومهما كانت سامية جداً تلك العظمة التى ارتفع إليها ، فكان يجب أن يبقى هو نفسه يسوع ـ أمساً ، واليوم ، وإلى الأبد .

منذ بضع سنوات حظيت بصداقة مرسل هندى ذى مركز ممتاز . وبسبب ولائه الشديد للبلاد التى اتخذها له وطناً من أجل سيده المسيح ، لبس الملابس الوطنية ، وكان يأكل الطعام الوطنى ، بل كان يجلس حسب عادة أهل ذلك الوطن . وعندما عاد إلى بلاد الإنجليز فى عطلته الطويلة استمر محتفظاً بعاداته هذه . ولما احتججت عليه قائلاً إن ما يناسب الهند لا يناسب بلاد الإنجليز أجاب : « لو غيرت أسلوب معيشتى لدى عودتى لإنجلترا فقد يظن الهنود أننى إنما تمثلت بهم شكلياً فقط ، مع أننى أريدهم أن يدركوا بأننى ـ من أجل محبه المسيح ـ قد أصبحت كواحد منهم ، وصرت هندياً » .

هذه تبين أن المسيح لا زال أخاً لنا حتى بعد صعوده إلى

السماء . قال بطرس الرسول ـ بعد القيامة ، وبعد الصعود ، وبعد حلول الروح القدس ـ إن الله « أرسل المسيح يباركم » (أع ٣ : ٢٦)، كما كان يبارك لما كان على الأرض ، وكما كانت يداه تقطران بركات لما كانتا تلمسان قلوب البشر ، وكما كان يبارك الطعام الذى وُزِّع على الخمسة آلاف رجل ، ثم على الأربعة آلاف . كان آخر منظر رآه فيه تلاميذه هو عندما « رفع يديه وباركهم » وقت صعوده (لو ٢٤ : ٥٠ و ٥١) .

وتمشياً مع ما قاله لنا سوف يرحب بمن أطاعوه واقتفوا آثاره ، ويقول لهم فى ذلك اليوم : « تعالوا يا مباركى أبى » (مت ٢٥ : ٣٤) .

إذاً يجب أن لا نشك ، بل نؤمن أن يسوع الآن هو نفس المخلص الذى ، فى أيام جسده ، كان يبارك كل آت إليه . هو لا زال ، فاتحاً يديه مليئتين بالبركات التى يريد أن يسكبها على حياتنا ، لكى يجعلنا مباركين إلى الأبد ، « ويملأنا سروراً مع وجهه » (أع ٢ : ٢٨) .

(٢) قوة هذا التشبيه

« طوبى للذين غسلوا ثيابهم ». إن سفر الرؤيا ملىء بالأسلوب العبرانى للتعبير عن الآراء المختلفة . والثياب تشير إلى الصفات ، فالصفات بالنسبة للنفس كالثياب بالنسبة للجسد . الصفات هى الثياب التى يرتديها الإنسان الداخلى . عندما قيل أن يهوشع « كان لابساً ثياباً قذرة وواقفاً قدام الملاك »(زك ٣ : ٣)، وعندما عاد الابن الضال إلى أبيه فى ثياب مهلهلة ، فيمكننا القول إن صفاتهما كانت تشبه هذه الثياب ، وإن كلاً منهما كان بعيداً عن نقاء القلب الذى بدونه لا يستطيع أحد أن يعاين الله .

إن ثياب نفوسنا قذرة بالطبيعة . قال النبى :« كثوب عدة كل أعمال برنا (١) (إش ٦٤ : ٦) . وإن كانت أعمال برنا هكذا فكم تكون أعمال شرنا ؟ هذا لا يعنى أن الكل قد تمادوا فى الخلاعة ، أو صارت ثيابهم سوداء بدرجة واحدة من السواد . لكن ابن الإنسان هو الوحيد الذى كان بلا عيب ولا دنس .

(١) « وبرنا كله كثوب الطامث » حسب ترجمة اليسوعيين ، « كثياب قديمة قذرة » حسب الترجمة الإنجليزية .

وكل من عداه فى حاجة لكى يغسلوا ثيابهم من الدنس الذى لحق بهم . فالوعاء لم يكونوا ووعاء كل أيام حياتهم ، ونقى القلب لم يكن طاهراً دواماً ، والمسكين بالروح لم يكن دواماً متواضعاً . ولو لم « يُفتح الينبوع للخطية وللنجاسة »(زك ١٣ : ١) لصارت قداسة بيت الله مستحيلة إلى الأبد .

يخبرنا سفر الرؤيا دواماً أن هنالك إمكانية لنكون أطهاراً . قال الرائى :«هؤلاء غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم فى دم الخروف» (رؤ ٧ : ١٤) . وإن كان أولئك قد نجحوا فى هذا فإننا نستطيع نحن أيضاً أن ننجح طالما كان « دم يسوع المسيح ابن الله يطهر من كل خطية » (١ يو ١ : ٧) .

١ - إرتضوا بأن يكون للروح القدس السلطان الكامل على أعمق ينابيع الفكر والعواطف ، بحيث لا ترتكبون أقل شىء يُحزن ذاك الذى اشتراكم بدمه لكى تكونوا ملكاً له إلى الأبد . فكرُّوا كثيراً فى مطالبه التى لا يمكن أن توصف ، واحذروا من أن تحسبوا الدم الذى افتديتم به دنساً (عب ١٠ : ٢٩) .

٢ - إقضوا وقتاً طويلاً فى التأمل فى عملية الفداء السامية

جداً ، التى بمقتضاها مات المسيح فى شبه جسد الخطية لكى يموت إنساننا العتيق ، كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطية (رو ٦ : ٦). وليضع الصليب حداً نهائياً لخضوعكم لعاداتكم الردية ورغباتكم الشريرة . « لأن الموت الذى ماته قد ماته للخطية مرة واحدة ... كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية » (رو ٦ : ١٠ و ١١).

٣ ـ تأملوا كثيراً فى عطف ذاك الذى مات على الصليب ، والذى « رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلصاً » (أع ٥ : ٣١). تأملوا فى بغضته الشديدة للخطية ، وفى الثمن الذى كلفته إياه ، وفى قدرته على خلاص النفس التى تتكل عليه من الشرور المرعبة التى تسلطت عليها زمناً طويلاً . وهكذا تصبح بغضتكم الشديدة للخطية طبيعة ثانية لكم ، فتكتئبون وتحزنون حزناً شديداً وتتوبون .

٤ ـ أطلبوا أيضاً أن تحصركم محبة للمسيح التى تجلت فى صليبه كى تعيشوا فيما بعد لا لأنفسكم ، بل للذى مات لأجلكم وقام (٢ كو ٥ : ١٤ و ١٥) .

٥ ـ وفوق الكل طالبوا بوعده المبارك الذى يحقق أعمق رغباتنا . « وأرش عليكم ماء طاهراً فتطهرون من كل نجاساتكم ،

ومن كل أصنامكم أطهركم . وأجعل روحى فى داخلكم ، وأجعلكم تسلكون فى فرائضى » (حز ٣٦ : ٢٥ و ٢٧) . ليتنا نطالب الله بأن يتمم فينا ما قصده بهذه الكلمات العظيمة . ليتنا نحيا تحت ظل الصليب ، تحت ظل الدم المطهر ، فى شركة مع « هذا الذى أتى بماء ودم ، ليس بالماء فقط ، بل بالماء والدم » (١ يو ٥ : ٦).

« طوبى للذين غسلوا ثيابهم » . لا يكفى أن نكون قد اغتسلنا مرة واحدة ، بل يجب أن نذهب مراراً وتكراراً إلى « الينبوع المفتوح للخطية والنجاسة » (زك ١٣ : ١) . كلما أحسسنا بأقل دنس ، وقبل أن يتزايد وينتشر ، وكلما ثار علينا الضمير ، وكلما فقدنا مركزنا وشعرنا بأننا فقدنا شركتنا مع الله ، يجب أن نرجع ثانية إلى « المرحضة » الكائنة عند مدخل القدس.

أيها الإخوة الأعزاء ، يا من تدنست حياتكم ، وأصبحتم دنسين أمام عين الله الطاهرة ، ألا تطلبون المغفرة والخلاص النابعين من الصليب ، واللذين ننالهما بالإيمان ، « لكى يكون لكم أنتم أيضاً سلطان على شجرة الحياة ، وتدخلوا من الأبواب إلى المدينة » ؟ .

(٣) النتائج المباركة

١ ـ السلطان على شجرة الحياة . فى آخر صفحة من الكتاب المقدس نلتقى بشجرة الحياة ، التى يخبرنا الكتاب عنها فى الصفحة الأولى أن الإنسان أبعد عنها . لكننا هنا نرى أن الحواجز قد أزيلت ، وأن الكروبيم ذوو السيف المتقلب قد انسحبوا (تك ٣ : ٢٤) . والله نفسه يعطينا الحق للمجىء ، ويدعونا للاكل بكثرة من ثمارها النفيسة .

ولماذا هذا ؟ لماذا نأخذ مما حُرِّم على أبوينا الأولين ؟ ليست الإجابة بعيدة المنال . لقد افتدينا بالدم الكريم من نتائج تعدياتنا . وروح الكبرياء ، والاستقلال عن الله ، والاعتزال عنه ، حل محله الروح الجديد الوديع الهادىء للتواضع . والحياة سوف لا تُنفق الآن فى محبة الذات ، بل فى الاعتماد الكلى على الكرمة الحقيقية . ولذلك فالحياة الحقيقية تنحصر فى الحصول على النفس المطهَّرة . لقد صارت إحدى الخراف التى تسمع صوت الراعى ، والتى قال عنها : « وأنا أعطيها حياة أبدية » (يو ١٠ : ٢٨) ، وقال أيضاً : « وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل » (يو ١٠ : ١٠) .

٢ ـ الحق فى الدخول من الأبواب إلى المدينة . بعد أن أبعد الإنسان من الجنة فى البداية صار الترحيب به إلى المدينة التى لها الأساسات عندما تم سر الفداء من الخطية والحزن . ترمز الجنة إلى العزلة والكسل والبلادة والزوال ، وترمز المدينة إلى المجتمع والنشاط والدوام . ومن ذا الذى لا يتمنى الوصول إلى تلك المدينة والدخول من أبوابها ؟ إن أبوابها تنفتح لنا من ذاتها كما انفتحت أبواب السجن أمام بطرس من ذاتها (أع ١٢ : ١٠). وأفضل الكل سوف لا يكون لنا انزعاج أو اضطراب أو خوف من الاعتراض على وجودنا هناك . وإذ نشير إلى الدم الذى طهرنا فإننا نصر على أن لنا الحق فى بقائنا هناك باستحقاق دم الصليب الذى « محا الصك الذى علينا » (كو ٢ : ١٤)، وفتح لنا شركة مع القديسين لا يقوى عليها الموت .

صلاة

بكل اتضاع أتوسل إليك يا إلهى ، عندما تدعونى للخروج من هذا العالم ، عالم الخطية والأحزان ، أن تمنحنى دخولاً سهلاً للملكوتك ومجدك بدم يسوع المسيح ابنك . آمين ؟

محتويات الكتاب

صفحة

مقـــدمة ٣

(١) الأبواب الثمانية إلى مـدينة السعادة . . ٤

(٢) مفتاح الملكوت ١٦

(٣) سر العزاء ٢٨

(٤) مـــيراث الأرض ٤٢

(٥) الجياع والعطاش يشبعون ٥٣

(٦) تخرج وتعـــود ٦٦

(٧) الرؤيا المطوّبة ٧٨

(٨) السكين المنقية ٨٩

(٩) شهـــداء وأنبياء ١٠٤

(١٠) « يـدخلون من الأبواب » . . . ١١٦

رقم الإيداع ٥٥٠٧ / ١٩٧٦
الترقيم الدولى ٢ - ١٨ - ٧٠٥١ - ٩٧٧

التطويبات

تأليف

ف . ب . ماير

تعريب

القمص مرقس داود

يناير ١٩٧٧

لجنة خلاص النفوس للنشر